المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الأهمية الإستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بين الأوضاع الداخلية والاهتمامات الدولية
اسم الكاتب: أ.م.د. نوار محمد ربيع الخيري
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2154
تاريخ الاسترداد: 2025/05/05 20:57 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الأهمية الإستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بين الأوضاع الداخلية والاهتمامات الدولية

أ.م.د. نوار محمد ربيع الخيري(*)

المقدمـة

تلقي التحولات بظلالها على المكان الذي تحصل فيه فتبعث بمختلف أشكال التأثيرات التي تتراوح بين الإيجابية والسلبية ، وقد مرت جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بتلك الحالة فكان ظرف التحولات التي تمثلت بتفكك الاتحاد السوفيتي قد ألقى بظلاله على تلك الجمهوريات التي أضحت أمام حالة جديدة وعسيرة، فهي من جانب تسعى وتترقباليوم الذي تتخلص فيه من الحكم السوفيتي، ومن جانب آخر إنها لم تهيئ أو تقدم لنفسها البديل المناسب والكامل لنظام الحكم السابق الذي يحقق لها الاستقرار والنمو، ففي الوقت الذي تترقب شعوب تلك الجمهوريات الفرصة لتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية السيئة، نجد تلك الجمهوريات تعيش حالة من عدم الاتفاق والانقسامات الداخلية بين الحكومات وجهات المعارضة الأمر الذي أبقى تلك الجمهوريات في جو من الاضطرابات وعدم الاستقرار، هذا إلى جانب الرغبة الروسية الجديدة في استعادة نفوذها ومكانتها السابقة مما يزيد تعقيداً وسلبية، ناهيك عن الكثير من القوى الإقليمية الراغبة في الاستفادة والاستثمار والتي تنتظر الفرصة لتنفيذ مصالحها وأهدافها التي رسمتها في تلك الجمهوريات، فضلاً عن طموحات القوى الدولية الكبرى التي تسعى ومن خلال التنافس لإيصال نفوذها إلى تلك الجمهوريات، وعليه سيترتب على تلك المنافسة انحسار وإبعاد مجموعة أو جماعة على حساب الأخرى كل حسب قوته ودرجة تأثيره وقدرته على التغلغل، والأساليب التي يستخدمها وسقف مصالحه وأهدافه، إلى جانب طبيعة الوضع الجديد في المنطقة والمنطلقات والرؤى المطروحة بشأنه، أي بالشكل الذي ينسجم أو لا ينسجم مع دول المنطقة وكيفية تحقيقها لمصالحها وأهدافها . بمعنى إن الطرف الدولي الأقوى سيكون له اليد الطولى في النفوذ إلى المنطقة والاستفادة منها وتحقيق مصالحه. ولكن هل إن تحقيق هذه الأهداف والمصالح الخارجية سيتم على أساس التعاون والشراكة والعلاقات الإيجابية مع تلك الجمهوريات أم على حساب أهدافها ومصالحها ، وهنا سنكون أمام كيفية معالجة جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية لمشاكلها وتحقيق أهدافها وتصحيح أوضاعها من جهة، وكيفية تعاملها مع القوى والأطراف الخارجية . وعليه سنبتدئ بافتراض مفاده ان الأهمية الإستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بكل أبعادها ومجالاتها والظروف الداخلية والخارجية التي مرت بها تضعها أمام ضرورة معالجة أوضاعها وتصحيحها وتغييرها بالاتجاه الصحيح والقويم ومواجهة التطلعات والطموحات الإستراتيجية الإقليمية والدولية لوجود العديد من العوامل الجاذبة في تلك الجمهوريات التي تجعل تلك القوى تركز أنظارها على ووجهتها الإستراتيجية على واهتماماتها الخارجية صوب هذه الدول. فإزاء كل ذلك كيف ستتعامل هذه الجمهوريات مع التحديات المواجهة لها داخلياً وخارجياً،وما هي الآليات وطرق المعالجة التي ستلجأ إلى استخدامها لمواجهة تلك التحديات للخروج من الأزمات التي تحيق بها .

– أولاً : جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية جيوبوليتيكياً وأستراتيجياً :–

(*) كلية العلوم السياسية–الجامعة المستنصرية.

نتج عن انهيار الاتحاد السوفيتي استقلال جمهورياته الخمسة عشر السابقة ومن بينها جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الست وهي كل من: تركمانستان، كازاخستان، طاجيكستان، قرغيزستان، أوزبكستان، وأذربيجان التي يدخلها البعض ولا يدخلها البعض الآخر فهي تقع ضمن هذه الجمهوريات ولكن ما وراء القوقاز[١]. وتمتد منطقة جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من بحر قزوين غرباً إلى جبال التالي شرقاً ومن مرتفعات الأورال وسيبيريا الغربية شمالاً إلى إيران وأفغانستان والصين جنوباً ، وتمتد تلك الجمهوريات التي يطلق عليها الآن المستقلة في آسيا الوسطى لحوالي ٤٦ دائرة عرضية و١٢٥ خطاً من خطوط الطول ، وتمتاز بتنوع خصائصها الطبيعية والحضارية والبشرية . وتبلغ مساحتها الكلية حوالي ١٨% من مساحة الاتحاد السوفيتي سابقاً و تقدر بما يتجاوز الأربعة ملايين كيلو متر مربع . وتحد تلك الجمهوريات من الغرب تركيا ومن الجنوب الغربي إيران و تشكل هاتين الدولتين منافذ جمهوريات آسيا الوسطى على البحار الدولية ، كما وتحدها كل من باكستان وأفغانستان[٢]. إذن تعد جمهوريات آسيا الوسطى منطقة مغلقة ولا تطل على أي بحر مفتوح أو محيط وليس لديها من الموانئ التي تتمكن من خلالها من التعامل مع بقية الشعوب الآسيوية باتجاه العالم ، حتى إن أنهارها داخلية أي لا تصب في الأنهار العالمية أو البحار أو المحيطات ، وأهم هذه الأنهار هو نهر أمودار يا و سري داريا و اللذان ينبعان من جبال تيان شان بامير و يصبان أخيراً في بحر آرال ، إلى جانب وجود نهر آخر وهو نهر اراس النابع من جبال الأناضول ويصب أخيراً في بحر قزوين . وتتميز منطقة جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة المتسعة المساحة بتنوع تضاريسها ، فمن جانب تشكل سهولاً صحراوية أو شبه صحراوية الأكثر حرارة و جفاف ، ومن جانب آخر فيها بعض المرتفعات و السلاسل الجبلية التي تنخفض فيها درجات الحرارة وتغطيها الثلوج[٣]. فهذا الموقع الجيوبوليتيكي والإستراتيجي الذي تتمتع به جمهوريات آسيا الوسطى على الخريطة العالمية جعل منها منطقة بالغة الأهمية ليس على الصعيد الجغرافي وحسب وإنما على كل الأصعدة ومنها على وجه خاص الصعيد الاقتصادي[٤]، وذلك لما تحويه من ثروات نفطية هائلة، فإذا رجعنا إلى النظريات الجيوبوليتيكية نجد إنها قد ركزت على الأهمية الكبيرة التي تحظى بها منطقةأوراسيا والتي تعد جمهوريات آسيا الوسطى جزءاً منها الأمر الذي جعل من ذلك الموقع الإستراتيجي نقطة اهتمام كبيرة في الإستراتيجيات الدولية . فجيوبوليتيكياً وسياسياً وحسب نظرية الجيوبوليتيكي البريطاني هالفورد ماكيندر حول هذه المنطقة والتي بدأها في عام ١٩٠٤ وعدَلها أول مرة عام ١٩١٩ ثم عدَلها للمرة الثانية عام ١٩٤٣ يرى إن آسيا وأوروبا تشكل كتلة واحدة من الأرض وهي أوراسيا ، و سماها بالجزيرة العالمية أو جزيرة العالم (world land)وأضاف إليها أفريقيا ، ويرى – أي ماكيندر– إن مركز هذه الكتلة هو الجزء الأكثر أهميةهذه المنافسة لايزال الموقع فيها و سماه أرض القلب (Heart Land) أومنطقة السويداء وعليه أطلق عبارته الشهيرة (إن من يسيطر على ذلك القلب يسيطر على الجزيرة العالمية و من يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم) ، والى جانب أهمية كل هذه الجمهوريات فالبعض منها مثل جمهوريةكازاخستان يتم التركيز عليها كونهاتقع في موقع مركزي لتشكل نقطة تقاطع الشرق والغرب والجنوبلاوراسيا فتسمى بجمهورية المركز و جمهورية القلب كونها تقع في القلب

---

[١] عباس فاضل عطوان ، المقومات الجيوبوليتيكية لجمهوريات آسيا الوسطى وأثرها على الوطن العربي (أوزبكستان) أنموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، ص ص ١٠– ١٤ .

[٢] نفس المصدر أعلاه ، ص ١٥.

[٣] نفس المصدر أعلاه ، ص ١٦ .

[٤] حبيب غانم ، حرب الألفية الثالثة نفط بحر قزوين ... ومآرب أخرى ، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، لبنان ، ص ٣٦ .

الماكيندري[٥]. ووفقاً لذلك فإن المحاور الجيوبوليتيكية يمكن أن تتشكل من الدول التي لا تستمد أهميتها من قوتها و دوافعها وإنما من موقعها الحساس والنتائج التي تترتب على الهشاشة الضمنية لظرفها وكونها عرضة لتأثير سلوكيات اللاعبين الجيوستراتيجيين . إذن يمكن القول إن الدول لا تزال تمثل الوحدات الأساسية للنظام العالمي و إن كانت بنسب و درجات متفاوتة، فالمنافسة القائمة على الأرض مازالت تسيطر على الشؤون الدولية حتى وإن أصبحت اليوم تتخذ أشكالاً أكثر تمدناً ، بمعنى إنه في هذه المنافسة لايزال الموقع الجغرافي يشكل نقطة الانطلاق في تحديد الأولويات الخارجية للدول القومية ، كما يظل حجم الرقعة الوطنية واحداً من أهم معاييرالقوة والمكانة[٦]. فلم تعد القضية الجيوبوليتيكية اليوم تتناول أي منطقة جغرافية في اوراسيا تمثل نقطة الانطلاق نحو السيادة القارية ، فقد انتقلت الجيوبوليتيكا من البعد الإقليمي إلى البعد العالمي حيث السيطرة على كامل القارة الاوراسية توفر الأساس أو القاعدة المركزية للسيادة العالمية[٧].

ومن أجل معرفة أوسع لمنطقة آسيا الوسطى الإسلامية سنتناول كل جمهورية من هذه الجمهوريات من ناحية الأهمية الجغرافية والسكانية إلى جانب الأهمية الإستراتيجية :

١ – جمهورية كازاخستان :–

تمتد جمهورية كازاخستان من دلتا الفولغا إلى حدود الصين[٨]، أي إنهاتقع إلى الجنوب من روسيا الاتحادية ومن الشرق تحدها جمهورية الصين الشعبية وقرغيزستان ومن الجنوب كل من اوزبكستان وتركمانستان ومن الغرب بحر قزوين ، وتشكل جمهورية كازاخستان ٦٧% من مساحة آسيا الوسطى[٩]، إذ تبلغ مساحة جمهورية كازاخستان (٢٧١٧٣٠٠) كيلومتر مربع ، وتعد مدينة الما اتا (Alma Ata) عاصمتها، وبهذه المساحة التي تشغلها جمهورية كازاخستان فقد كانت تمثل ثاني أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد جمهورية روسيا الاتحادية، أما سكانها فيتوزع بين ثمان مجموعات عرقية وهي: الكازاخ أو القازاق، الروس، الالمان، الاوزبك، التتار، الاوجريون، البيلوروس، الكوريون ، ويشكل الكازاخ الجماعة العرقية الأكبر إذ تشكل ٤٠% من مجموع السكان وبعدها تأتي نسبة الروس البالغة ٣٨% تقريباً من المجموع الكلي، وبذا فإن الكازاخ يمثلون جماعة عرقية يرتبط أفرادها بروابط أهمها وحدة اللغة والدين — يدين الكازاخ بالإسلام– والثقافة والتاريخ والسلالة[١٠].

ومن الناحية الاقتصادية تعد كازاخستان مخزن للمعادن إذ تحظى بالمرتبة الاولى في العالم في تكوينات الكروم كما تحتوي على النحاس والرصاص والزنك الى جانب ثروتها من الفحم والنفط والفضة ، فضلاً عما تضمه من الثروة الحيوانية

---

[٥] عباس فاضل عطوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٣ – ١٤ .

[٦] زبيغنيو بريجينسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى الأولية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية ، ترجمة:أمل الشرقي، الأهلية ، عمان ، بلا تاريخ ، ص ص ٥٥ – ٥٩ .

[٧] نفس المصدر أعلاه ، ص ٥٧ .

[٨] د. إبراهيم أحمد رزقانة، بعض مشكلات الجغرافية السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ ، ص ١٥٨.

[٩] عباس فاضل عطوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦.

[١٠] في منتصف الثمانينات من القرن العشرين بدأ الكازاخ يتجاوزون الروس عددياً وشكلوا الأغلبية ، وقبل ذلك كان الروس يشكلون النسبة الأكبر ، وهذا التضاؤل كان يرجع الى المذابح التي تعرض لها الكازاخ على يد البلاشفة في العشرينات من القرن العشرين وطلب السوفيت من الروس والأوكرانيين والبيلوروس النزوح إلى كازاخستان ، وكذلك جعل ستالين أراضي كازاخستان مأوى للجماعات العرقية التيأستأصلها من مواطنها . انظر ، د.أحمد وهبان ، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر دراسة في : الأقليات والجماعات والحركات العرقية ، أليكس لتكنولوجيا المعلومات ، الإبراهيمية–الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ص ٤١٥– ٤١٨ .

من الأغنام . وقد نتج عن مساحة وثروات كازاخستان أن كانت من أهم جمهوريات الاتحاد السوفيتي الذي حاول تشديد تبعيتها للسياسة السوفيتية السياسية والمذهبية بتحطيم الحركة القومية الكازاخية والقضاء على الميول المعادية للروس[١١] . إذن وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ظلت السياسة الكازاخية تتميز بخصوصيتها لما يسمى (الكزخنة) في المصالح والمؤسسات والوظائف العامة ، وفتحت الباب أمام الاستثمارات الغربية وعقد الصفقات مع الشركات الأمريكيةوالأوروبية فيقطاعات الغاز والنفط، إلى جانب اتفاقات التعاون الاقتصادية والتقنية والتي دخلت فيها كشريك مهم وحيوي في المنظومة الجغرافية مع إيران لأخذ بعض الدور في شؤون المنطقة ، فتسعى كازاخستان من خلال اتفاقياتها إلى كسب الأصدقاء والدخول في علاقات شراكة متوازنة لتصل إلى وضع دولي راسخ لا يعيدها إلى ما قبل عام ١٩٩١[١٢] .

٢- جمهورية قرغيزستان :-

تمتد جمهورية قرغيزستان على الجزء الشرقي من آسيا الوسطى إذ تحدها من الشمال جمهورية كازاخستان ومن الغرب جمهورية اوزبكستان ومن الجنوب الغربي جمهورية طاجيكستان ومن الشرق والجنوب الشرقي جمهورية الصين الشعبية ، وتبلغ مساحتها (١٩٨٥٠٠) كيلومتر مربع، وحدود هذه الجمهورية جبلية وفيها كذلك وادي شو شمالاً وحوض فرغانة في الجنوب الغربي، أما عاصمتها فقد كانت قبل الاستقلال مدينة فرونز وبعد الاستقلال سميت بشكيك، وابرز مدنها هي كاراكو، نارين، أوش، وتحتوي جمهورية قرغيزستان على الموارد الطبيعية كالحبوب والقطن وبنجر السكر واحتياطي من الفحم الحجري والغاز الطبيعي وكميات قليلة من النفط، إلى جانب وجود الثروة الحيوانية كالأغنام و الماعز[١٣]. أما سكانها فيتشكل من ست مجموعات عرقية تقريباً أهمها القرغيز ، الروس، الاوزبك ، الأوكرانيون، الألمان، التتار ، ويشكل القرغيز أغلبية ليست كبيرة جداً في وطنهم إذ تصل نسبتهم إلى ٥٢,٤% من مجموع سكان قرغيزستان ، ويمثل الروس كبرى الأقليات القاطنة في هذه الجمهورية. ويرجع ظهورالقرغيز سلالياً إلى اختلاط ثلاثة أجناس هم المغول والأتراك وسلالة ثالثة تعرف بالكيبتشاك. ويتكلم القرغيز لغة تنتمي إلى مجموعة اللغات التركية، ويدينون بالإسلام[١٤]. أما نزعتهم العرقية فلم تكن اقل من مثيلاتها في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من حيث طبيعتها وأهدافها ووسائلها وقوتها ، فقد شهدت صراعات عرقية اتسمت بالعنف وكانت تستهدف تأكيد سيطرة جماعتها العرقية على مقاليد الأمور في الجمهورية التي تحمل اسمها ، إلا إنها كانت تفتقر للتنظيم الفاعل وقلة الخبرة السياسية لدى قيادتها، إلى جانب سيطرة الشيوعيون في عهد الاتحاد السوفيتي على مؤسسات الدولة والذي عانت منه جمهورية قرغيزستان بشكل كبير حتى استقلالها في عام ١٩٩١[١٥] .

٣- جمهورية اوزبكستان:

يتمركز الموقع الجغرافي لجمهورية اوزبكستان في قلب منطقة آسيا الوسطى إذ يحاددها من الشمال والشمال الغربي مناطق السهوب في كازاخستان ومن الشرق والجنوب الشرقي مرتفعات جمهوريات قرغيزستان وطاجيكستان ، ومن الجنوب الغربي تحدها صحاري جمهورية تركمانستان ، كما إنها تمتد بين نهرآمو(Amo) في جنوبها الغربي ونهر سير(Syr) في شمالها الشرقي . أما مساحتها فتبلغ (١٤٤٧٤٠٠) كيلو متر مربع ، فتعد اوزبكستان من الدول المعتمدة على الأنهار

---

[١١] د. إبراهيم أحمد رزقانة ،مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٨ .

[١٢] حبيب غانم ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦٦-٧٠ .

[١٣] عباس فاضل علوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٦-٤٦ .

[١٤] د. احمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .

[١٥] نفس المصدر أعلاه ، ص ص ٤٥٣ – ٤٥٥ .

بشكل كبير وأساسي لأنها من المناطق الجافة في العالم، وأنهارها ذات تصريف داخلي وجميعها واسعة وقصيرة ، أما أكبر مدنها فهي مدينة طشقند التي تمثل العاصمة ، فضلاً عن مدن هيوة و هوكاند وأنديجان و نامانكان و قارشي و نوائي و اوركنج و نوكوس[١٦] . والمدن التاريخية ذات التاريخ الإسلامي مثل سمرقند و وخوارزم وترمذ وبخارى . وعلى صعيد التركيبة السكانية والعرقية لجمهورية اوزبكستان فإن سكانها يتشكلون من ثلاث عشرة مجموعة عرقية أبرزها الاوزبك ، الروس، الطاجيك ، الكازاخ ، التتار ، الكاراكالباك ، القرغيز، الألمان ، الأوكرانيون ، التركمان ، الترك، الكوريون ، المسخص . و يشكل الاوزبك أغلبية كبيرة في وطنهم وينحدرون من أصل تركي ويتكلمون اللغة الاوزبكية ، و يدينون بالإسلام ، وقد تعرض الاوزبك شأنهم شأن سائر مسلمي آسيا الوسطى إلى حملات عنيفة من قبل السوفيت استهدفت تقويض مقومات ذاتيتهم وعلى رأسها الدين ، فكانت الحركة العرقية الاوزبكية متأججة لاسيما ظل سياسات ميخائيل غورباتشوف في إظهار مقومات ذاتيتهم وتمايزهم عن غيرهم من الجماعات العرقية المكونة من لمجتمعهم و لاسيما في مجال الاهتمام بالدين الإسلامي ، واستمرت النزعة العرقية الاوزبكية بظهور جهات وأحزاب وقيام اضطرابات عرقية تطالب فيها بأهدافها وحقها في الوجودداخل اوزبكستان ، وقد كانت من أواخر الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي وذلك في ٥ أيلول ١٩٩١ ، إذ كانت قوة الشيوعيين متزايدة ومترسخة في المؤسسات السياسية الرسمية في اوزبكستان[١٧] . وفيما يتعلق بالاوزبكيين نلاحظ وجود أقلية اوزبكية كبيرة في جمهورية طاجيكستان ، وهي تحاول التوفيق بين مطالب هذه القلية في الانضمام للوطن الأم اوزبكستان واستمرار نفوذها عبر القادة الاوزبكيين أصحاب المواقع الحساسة داخل الجبهة الشعبية الحاكمة[١٨] .

٤- جمهورية طاجيكستان :-

تعد جمهورية طاجيكستان من الناحية الجيوبوليتيكية من أهم جمهوريات وسط آسيا فقد أوجد الاتحاد السوفيتي الجمهورية الطاجيكية السوفيتية لكي يواجه بها أفغانستان والهند وإيران[١٩] . إذ تقع جمهورية طاجيكستان في الوسط الجبلي لآسيا إذ تحاددها من الشرق جمهورية الصين الشعبية ومن الشمال جمهورية قرغيزستان ومن الغرب والشمالجمهورية اوزبكستان ومن الجنوب أفغانستان، وتقع في الجانب الأقصى من جنوب شرق آسيا الوسطى، وتعد من أصغر جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من حيث المساحة[٢٠]، إذ تبلغ مساحتها (١٤٣١٠٠) كيلو متر مربع وتمثل مدينة دوشانبي (Dushanbe) عاصمتها[٢١]، وتحتوي جمهورية طاجيكستان في جبالها على معادن مثل الألمنيوم والزئبق والبوتاسيوم والكبريت والزنك وحجر الكريستال واليورانيوم وفيها مناجم لاستخراج الذهب ، كما يوجد التنجستين وترسبات الملح والكاربون والفحم والنفط ، وفيها من المنتجات الزراعية من القطن والكروم والفواكه والحبوب، إلى جانب الثروة الحيوانية وتربية جيكستان دودة القز[٢٢] . أما تركيبتها السكانية أو العرقية فتتشكل جمهورية طاجيكستان من حوالي ست مجموعات عرقية هي : الطاجيك ، الاوزبك ، الروس ، التتار، القرغيز ، الاوكرانيون ، ويشكل الطاجيك أغلبية واضحة يعتد بها بين الجماعات المشكِلة لسكان طاجيكستان إذ تبلغ حوالي ٦٢,٣%

---

[١٦] عباس فاضل علوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٠٧ – ١٠٩ .

[١٧] د. احمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٣٠ – ٤٣٩ .

[١٨] حبيب غانم ، مصدر سبق ذكره ، ٦٥ .

[١٩] د. إبراهيم أحمد رزقانة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٢ .

[٢٠] عباس فاضل علوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١ .

[٢١] د. أحمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤٠ .

[٢٢] عباس فاضل علوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ .

ويشكل الاوزبك أكبر الأقليات في طاجيكستان فتبلغ نسبتهم ٢٤% ، ويتكلم الطاجيك اللغة الطاجيكية والتي تنتمي إلى المجموعة اللغوية الإيرانية ، ويدينون بالإسلام ويلتزمون بالقيم والمبادئ الإسلامية للحفاظ على هويتهم ولم يقتصر الاهتمام بالحفاظ على الهوية الدينية وإنما يشمل كذلك اللغة والثقافة . وبالطبع لم تكن النزعة العرقية لدى الطاجيك أقل تأججاً مما كانت لدى الكازاخ والاوزبك ، وقد تمثلت بمطالبات وتظاهرات وأعمال عنف . كما إن هناك مشاعر غير ودية بين الطاجيك والاوزبك داخل اوزبكستان وداخل كازاخستان. وكمثيلاتها كانت النزعة العرقية الطاجيكية تفتقر إلى التنظيم الفاعل وقلة الخبرة السياسية لزعمائها واتسمت بالتشتت ، ومهما يكن شكل الحركة فهدفها المحوري تمثل في تأكيد الموقع المسيطر للطاجيك داخل جمهوريتهم[٢٣] ، وقد أعلنت جمهورية طاجيكستان استقلالها مع أواخر الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي وذلك في أيلول ١٩٩١ ، وبعد الاستقلال بدأت حرباً بين قوات النظام الطاجيكي الشيوعي من جهة وقوات حركة المقاومة الإسلامية من جهة أخرى ، إذ ترفض هذه الحركة استمرار النظام الشيوعي في طاجيكستان وتسعى لإتباع المجتمع الطاجيكي لمبادئ الإسلام[٢٤]. ومن الجدير بالذكر ان جمهورية طاجيكستان تعد الأفقر في المنطقة رغم إنها تعيش فوق بحر من الثروات من النفط واليورانيوم وثروة القطن على سطحها، ولكن رغم فقرها فإن موقعها الحساس جعلها محط اهتمام الكثير من الدول فيها[٢٥] ، ولاسيما القوى الكبرى ذات المصالح في هكذا مناطق مهمة .

٥- جمهورية تركمانستان :-

تقع جمهورية تركمانستان في الجنوب الغربي لمجموعة جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية المستقلة وتمتد على خط العرض الذي يمتد عليه البحر المتوسط ، وعاصمتها هي مدينة عشق آباد وهي أكبر مدنها ، ويحد جمهورية تركمانستان من الغرب بحر قزوين ومن الشرق تشكل حدودها الضفة الغربية من نهر امودايا (جيحون) حيث الحدود بينها وبين اوزبكستان ، أما من الشمال فتحدها جمهورية كازاخستان وجمهورية كاراكالباكا ذات الحكم الذاتي والتي تقع ضمن حدود اوزبكستان ، أما من الجنوب فتوجد سلسلة جبال كومبيت- داغ وسفوح جبال بارومیز أي إيران وأفغانستان وهي أراضي صحراوية تسمى صحراء قره- قوم أي صحراء الرمال السوداء[٢٦] . وتمثل جمهورية تركمانستان أصغر جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية[٢٧] ، إذ تبلغ مساحتها (٤٨٨١٠٠) كيلو متر مربع[٢٨] ، وتحتوي أراضي تركمانستان على ثروات طبيعية كبيرة كالنفط والغاز الطبيعي كما تضم أراضيها الأملاح المتنوعة ومركبات كيمياوية مثل الصوديوم والكبريت ، و يوجد فيها كذلك الرخام و الصخور الكلسية ، كما واتسعت فيها زراعة القطن وتربية الحيوان كالأغنام من نوع قراكول إضافة إلى تربية الجمال والخيل[٢٩] . أما سكان جمهورية تركمانستان فيتشكل من حوالي سبع مجموعات عرقية وهي : التركمان ، الروس، الاوزبك ، القرغيز ، الكازاخ ، التتار ، الاوكرانيون ، ويمثل التركمان اغلبية واضحة في تركمانستان بنسبة تقدر بحوالي ٧٢%، وينحدر التركمان شأن معظم سكان آسيا الوسطى من أصل تركي وتنتمي اللغة التركمانية إلى مجموعة اللغات التركية ، ويدين التركمان بالإسلام، ومثل سائر مسلمي آسيا الوسطى بقي التركمان

---

[٢٣] د. أحمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤١ – ٤٤٥ .

[٢٤] نفس المصدر أعلاه ص ٤٤٦ .

[٢٥] حبيب غانم ، مصدر سبق ذكره ، ٦٤ .

[٢٦] عباس فاضل علوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[٢٧] د. إبراهيم أحمد رزقانة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٨ .

[٢٨] د. أحمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤٧ .

[٢٩] عباس فاضل علوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١ .

متمسكين بهويتهم الإسلامية وبمقوماتهم الذاتية فلم تفلح سياسات الاتحاد السوفيتي في تقويض هذه المقومات ، فالنزعة العرقية لدى التركمان في تركمانستان لم تختلف في حدتها وطبيعتها ووسائلها وأهدافها عما كانت عليه في بقية الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى ولاسيما خلال عهد ميخائيل غورباتشوف، وبرزت أشكال التعبير عنها في المظاهرات وأعمال العنف التي شهدتها عشق آباد وكذلك نبيت داج (Nebitdag) مع ملاحظة ان تلك الحركة العرقية التركمانية أيضاً لم تختلف عن الحركات العرقية في آسيا الوسطى في افتقادها للتنظيم الفاعل وتشتتها وقلة خبرة زعماءها ، وكانت فيها أحزاب وتنظيمات سياسية واجتماعية متعددة ولكن محدودة الفاعلية ، وأهم هذه التنظيمات حزب تركمانستان الديمقراطي والذي غيّر اسمه فيعام ١٩٩٠ إلى الحركة الشعبية ، وقد حصلت تركمانستان على استقلالها مع أواخر الجمهوريات السوفيتية[٣٠]. وقد أدركت تركمانستان ضرورة اجتذاب الاستثمار الأجنبي والذي يتطلب قدراً من سيادة حكم القانون وسعت لوضع إطار تشريعي لذلك و إجراءات خصخصة جزئية، ووضعت قانون للموارد الهيدروكاربونية . وقد مارست الحكومات الأوروبية ضغوطاً على تركمانستان من أجل إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية لنقل السلطة تدريجياً من الرئيس إلى البرلمان ، إلا إن حماس وحرص البرلمان على الإصلاحات كان محدوداً وعلى العكس كان الرئيس مناصراً للإصلاحات القانونية[٣١].

٦- جمهورية أذربيجان :-

تقع جمهورية أذربيجان في إقليم عبر القوقاز وتحتل القطاع الشرقي من هذا الإقليم وهو الجزء الممتد على بحر قزوين إلى ما بعد لنكوزان واستارا ويفصل نهر آراس بين جزأي أذربيجان أي الذي كان خاضعاً للاتحاد السوفيتي أي الذي كان يقع ضمن حدوده وبين أذربيجان الإيرانية. وإذا كانت جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الخمس السابق ذكرها جمهوريات استبس[(*)] في الغالب فإن أذربيجان إحدى جمهوريات القوقاز الثلاث وهي (جورجيا وأرمينيا وأذربيجان) . وتبلغ مساحة جمهورية أذربيجان (٣٣٤٣٦) ميل مربع ، و تعد مدينة باكو عاصمتها[٣٢]. أما سكان جمهورية أذربيجان وأغلبهم من المسلمين فيتوزعون بين أذربيجانيون وهم النسبة الغالبة إلى جانب الروس والأرمن . وقد نمت الحياة الحضرية في جمهورية أذربيجان نمواً سريعاً وهي ميناء بحر قزوين الرئيسي . ومن ناحية الثروات والموارد الطبيعية تعد أذربيجان جمهورية النفط ففيها إقليم باكو الذي كان ينتج أكثر من ٥٠% من إنتاج الاتحاد السوفيتي من النفط ومن هذا الإقليم تخرج أنابيب النفط إلى مينائي باكو على بحر قزوين وباطوم على البحر الأسود. بمعنى إن جمهورية أذربيجان لها أهمية حيوية ومتميزة في عهد الاتحاد السوفيتي[٣٣]، وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أرادت روسيا استعادة نفوذها في الجمهوريات الإسلامية بطريقة مختلفة ولأن أذربيجان دولة نفطية فإن التسابق لاحتوائها كان من قبل العديد من الدول كتركيا والولايات المتحدة الأمريكية من خلال توقيع العقود النفطية ، وهنا يتضح ان سياسة أذربيجان كانت تميل إلى الاعتماد على الغرب و تركيا وقد أدى ذلك إلى صراع سياسي داخلي لم تكن الأطراف الخارجية بعيدة عنه ، كما ان المساعدات التي قدمتها شركات النفط لأذربيجان لم تنقذها من سوء وتردي أوضاعها الاقتصادية ن ويمكن القول ان

---

[٣٠] د. أحمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤٧ – ٤٥١.

[٣١] حبيب غانم ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧٨ – ٧٩ .

[(*)] كانت هناك صفة بارزة في سكان وسط آسيا قبل مجئ الروس وقبل الثورة البلشفية وهي انقسامهم اجتماعياً إلى مجموعتين كبيرتين ، مجموعة تسكن الاستبس (إقليم الاستبس) والصحراء ومجموعة تسكن الواحات ، أي ينقسمون إلى بدو رحل وحضر مستقرين . انظر : د. إبراهيم أحمد رزقانة ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٥٣ – ١٤٥ .

[٣٢] نفس المصدر أعلاه ، ص ١٩٢ .

[٣٣] نفس المصدر أعلاه ، ص ص١٩٢ – ١٩٣ .

جمهورية أذربيجان تعد الدولة الوحيدة بين الدول المطلة على بحر قزوين التي تتهددها النزعات الانفصالية والحروب بشكل مباشر كالنزاع المستمر على إقليم ناغورنو كاراباخ إلى جانب وجود أقليات عرقية أخرى فيها مثل الطاليش التي تتمسك بالدعوة للاستقلال مما يؤثر على إقبال شركات النفط وعملها[٣٤].

ثانياً: الخلفية التاريخية للعلاقات بين دول آسيا الوسطى الإسلامية والاتحاد السوفيتي :

تعود علاقة روسيا – أي قبل نشوء الاتحاد السوفيتي- بإقليم آسيا الوسطى أو دول آسيا الوسطى إلى نهاية القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر حيث كان الإقليم الذي كانت فيه ممالك إسلامية يخرج في ذلك الوقت من السيطرة المغولية ويمثل هدفاً مميزاً للروس ، فبدأت روسيا بمخططها الذي مثّل مشروع زراعي تم خلاله تهجير موجات متتالية من الفلاحين الروس والأوكرانيينإلى ذلك الإقليم ، واستمرت تلك السياسة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين انتقلت روسيا إلى الغزو العسكري المباشر فاحتلت جنوب كازاخستان ومنها إلى قلب آسيا الوسطى واستمرت منطقة آسيا الوسطى تحت السيطرة الروسية ، وبعد اندلا ع الثورة البلشفية في أكتوبر ١٩١٧ انتهزت شعوب آسيا الوسطى الفرصة فشنت هجوماً واسعاً على الروس عرف بثورة البسماتشي(*) وبعد نجاح الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وإحكام سيطرة الشيوعيين على المنطقة – التركستان–[٣٥]، شدد لينين ورفاقه حكمهم وسيطرتهم على كافة إرجاءالإمبراطورية الروسية وأخضعوها لسلطانهم بالإكراه فلم يجد سكان جمهوريات آسيا الوسطى من سبيل أمامهم سوى الكفاح المسلح للوصول إلى هدفهم في تحقيق الاستقلال[٣٦]. أي إن ذلك لم يمنع حركات المقاومة الشعبية للسياسات السوفيتية من استمرارها ، ولكن مذابح ستالين الجماعية قضت بعد ذلك على تلك الحركات في الإقليم[٣٧]. وكان الخطر السوفيتي والسيطرة السوفيتية على منطقة آسيا الوسطى يشمل كل المجالات ولكن المجال الأكثر خطورة كان على السكان المسلمين ، إذ إن المسلمين قبل الثورة البلشفية وحتى بعدها بقليل كانوا يتمتعون باستقلال إداري وقضائي حتى في الجهات الخاضعة مباشرةً للحكم الروسي ، ولكن بعد عام ١٩٢٤ وهو عام تخطيط الحدود كان على جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية أن تخضع للنظام العام في الجمهوريات السوفيتية الأخرى[٣٨]. فاستخدم نظام الحكم السوفيتي كافة الوسائل والطرق لتقويض مقومات الهوية الإسلامية لمسلمي آسيا الوسطى والقضاء على أي نزعة عرقية لديهم فتمثلت اولى الوسائل في تقسيم آسيا الوسطى إلى ست جمهوريات منفصلة كازاخستان واوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وتركمانستان وأذربيجان، وفي ذات السياق الذي سعى إلى الساعي إلى طمس هوية سكان تلك المنطقة سعى السوفيت إلى تقويض مقومات تلك الهوية وعلى رأسها الدين ، فضلاً عن المقومات الأخرى فراحوا يعملون على ترويس المنطقة لغوياً وثقافياً وأبجدياً وبشرياً بفرض اللغة والثقافة الروسيتين ، والسعي لتهجير الروس من مواطنهم الأصلية وتوطينهم في

---

[٣٤] حبيب غانم ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧١ – ٧٤ .

(*)البسماتشي : انتفاضة فلاحين امتدت إلىأجزاء واسعة من التركستان وأعلنت عن رفضها التجنيد الإجباري وتسخير الشباب في مزارع القطن وحققت انتصارات كبيرة على الروس لولا وقوعها في اشتباكات داخلية أثرت في قوتها مما سهل على البلاشفة قمعها في عام ١٩٢٦ وتهجير عشرات الآلاف. انظر: د.عاطف عبد الحميد، روسيا وآسيا الوسطى.. حماية المصالح واحتواء الأخطار، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٧٠)، أكتوبر٢٠٠٧، مركز الأهرام،القاهرة، ص ٨٢ .

[٣٥] نفس المصدر أعلاه ، ص٨٢ .

[٣٦] د. احمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٠٨ .

[٣٧] د.عاطف عبد الحميد ،مصدر سبق ذكره ، ص٨٢ .

[٣٨] د.إبراهيم احمد رزقانة ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٧.

جمهوريات آسيا الوسطى والجمهوريات الأخرى السوفيتية . إلا إن السوفيت لم ينجحوا في إلغاء هوية شعوب آسيا الوسطى إذ ظلت تلك الشعوب متمسكة بمقوماتها الذاتية وعلى رأسها الدين الإسلامي[٣٩] .

وعلى الصعيد السياسي كان لوجود عدد كبير من الروس في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية و في كل مجالات الحياة الأثر في قيام عدد كبير منهم بتمثيل هذه الولايات أو الجمهوريات في المجالس النيابية حتى إن عدد الممثلين الروس لم يكن يتناسب مع عددهم في هذه الجمهوريات إذ كان يزيد عن ذلك بكثير[٤٠]. كما كان السوفيت قد شرعوا بتحديث جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية اعتقاداً منهم بأن التحديث والتحضر والتصنيع هي أمور من شأنها تسهيل عملية اندماج شعوب تلك الجمهوريات مع سكان الاتحاد السوفيتي بشكل عام ، إلا إن تلك السياسة أدت إلى نتائج عكسية في هذا الاتجاه[٤١]. بل إن الهدف لم يكن كذلك بشكل واضح أو صريح إذ لم تكن غاية السوفيت تطوير وتحديث تلك الجمهوريات أكثر منها سيطرة وهيمنة سوفيتية وبالشكل الذي يرسمه السوفيت الذين كانوا متحكمين بكل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من خلال من خلال ترسيخ القوة والسياسة والقوانين السوفيتية وتطبيقها في تلك الجمهوريات كجزء من الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت .

ثالثاً : الأوضاع الداخلية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بعد الاستقلال :-

حصلت دول منطقة آسيا الوسطى على استقلالها أو وجدت نفسها أمام وضع الاستقلال دون أن تقوم بثورة أو صراع عسكري من أجل الاستقلال ،إلا إنها مع ذلك كانت تمر بحالة من الارتباك وعدم الاستقرار الأمر الذي جعلها تتباطأ في إعلان ذلك الاستقلال فكازاخستان على سبيل المثال كانت آخر من أعلن الاستقلال وذلك بعد أسبوع كامل من تفكك الاتحاد السوفيتي ، فعاشت جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية في السنوات الخمس الاولى من الاستقلال في مرحلة مرتبكة من العلاقة مع موسكو[٤٢]. فوجدت تلك الدول – الجمهوريات – نفسها أمام صعوبات كبيرة ومهمات جسيمة ومسؤوليات جديدة تستلزم جهود ووقت تسعى من خلاله لإصلاح أوضاعها وعلى كل الصعد . فعلى الصعيد الاقتصادي تركت روسيا دول آسيا الوسطى الإسلامية ببنية اقتصادية زراعية شكّلت النسبة الكبيرة من العمالة في هذه الجمهوريات ولكنها لم تعزز ذلك الاقتصاد بل ساهمت فقط بـ٢٠% من إجمالي الناتج القومي، كما اتسمت هذه الجمهوريات اقتصادياً بأحادية النظام الاقتصادي وكل جمهورية حسب المورد الأساسي الذي تعتمد عليه، فكانت اوزبكستان وطاجيكستان مصدراً للقطن أي اعتماد اقتصادي زراعي، أما تركمانستان فعدت مركز أو مصدر للغاز، وكازاخستان مصدر المعادن والنفط . فإزاء التغيرات الحاصلة في اقتصاديات السوق العالمي كانت تلك المرحلة التي مرت بها جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بمثابة الصدمة الاقتصادية وانسياق اقتصاداتها القومية وراء تلك التغيرات العالمية. أما على الصعيد السياسي والبناء السياسي الداخلي تركت موسكو جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بدون مؤسسات تدير تلك الدول فسيطرت على الأنظمة السياسية العلاقات القبلية والفساد والتعامل بمنهج الحلول الوسط لاقتسام المصالح والنفوذ، إلى جانب اندلاع الروب الأهلية والنزاعات الداخلية كما في طاجيكستان بعد ثلاث سنوات من تفكك الاتحاد السوفيتي، وكذلك الاشتباكات المحلية في قرغيزستان واوزبكستان وغيرها[٤٣]. إن وصف أو تسمية (ما بعد

---

[٣٩] د. احمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٠٨ – ٤٠٩ .

[٤٠] د.إبراهيم احمد رزقانة ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٧.

[٤١] د. احمد وهبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١٢ .

[٤٢] د.عاطف عبد الحميد ،مصدر سبق ذكره ، ص٨٢ .

[٤٣] نفس المصدر أعلاه ، ص ٨٣ .

السوفيت) ينطبق على هذه الجمهوريات وسماتها التي تصور أوضاعها في هذه المرحلة، إذ إن فرض سيطرة الدولة على كل جانب من جوانب الاقتصاد والمجتمع ، إلى جانب البيروقراطية المعوقة هي سمات أو خصائص بقيت من الإرث السوفيتي[٤٤]. فأمام هذا الكم من الهموم والمسؤوليات المتراكمة كيف تصرفت هذه الجمهوريات لإصلاح أوضاعها وللتكيف مع الأوضاع الجديدة ؟

مع مواجهتها للأوضاع الجديدة أسديت العديد من النصائح وطرحت العديد من الأفكار لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية التي تدعو للإصلاح والتغيير ، ولكن زعماء هذه الدول كان تفكيرهم قد تمحور حول ما يمكن أن ينجم عن هذه التغييرات المقترحة من تعزيز لسيادةدولهم أو إضعافها ، ومهما يكن من أمر فقد شرعت تلك الجمهوريات بتطبيق استراتيجيات واسعة النطاق لإصلاح الإرث من الحكم السوفيتي، فبادرت بعض هذه الجمهوريات ومنها كازاخستان وقرغيزستان إلى إجراء إصلاحات مؤسسية ، أما اوزبكستان وتركمانستان فضَلت أو بقيت تتبع منهجاً حذراً مخافة أن يؤدي التغيير السريع إلى زعزعة الاستقرار وتعريض سيادة الدولة للخطر[٤٥]. فهذا يعني ان جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية سادها ويسودها عدم الاتفاق أو التوحد في الآراء وتتجاذبها المتناقضات سواء في مساعيها للتطور الديمقراطي أو الاقتصادي ، فعندما كانت دول آسيا الوسطى الإسلامية تسعى لنيل سيادتها وتعزيزها فإنها وضعت عدد من الفرضيات وقدمت عدد من النماذج المختلفة لتطوير دولها ، كما و وضعت من بين مشروعاتها ونواياها ونماذجها ومساعيها تحقيق الوحدة بين تلك الجمهوريات[٤٦]، أو نوع من الوحدة أو الاتحاد . وكل ذلك يتطلب من هذه الجمهوريات تجاوز مشكلاتها وإجلاء تحولات سياسية و اقتصادية و اجتماعية ، أي إنها بحاجة إلى تأسيس هوية جديدة تماماً ومبادئ جديدة تسير عليها ومصادر جديدة للشرعية ، فكان توجهها في هذا السياق توجهاً وطنياً على أمل تحقيق أهدافها وتوحدها ، ولاسيما إنها كانت في ظل الحكم السوفيتي تعيش في عزلة عن بعضها البعض ، إلى جانب العزلة عن العالم الخارجي ، فجاءت المرحلة الجديدة لتكسر حاجز العزلة المفروضة من قبل روسيا[٤٧]. فأرادت أن يكون فيما يبينها نوع من الأطر التعاونية أو الاتحادية ، فطرحت عدة نماذج محتملة للوحدة سواء بشكل جزئي أو كلي ومنها طرح فكرة قيام نوع من الاتحاد أو التوحد بين الجمهوريات كما ذكرنا على أساس نوع الجذور التركية و المتكلمين باللغة التركية من قبل تركمانستان وبدعم من منظمة بيرليك في اوزبكستان ، أي إنه لايمكن تطبيقها لا يمكن تطبيقها في الواقعذلك لأن الدور القيادي الذي قد تطالب به إحدى دول هذا الاتحاد لن تقبل به بقية الدول لخشيتها على استقلالها . أما الشكل الآخر للتوحد في آسيا الوسطى هو على أساس الدين الإسلامي إلا إنها أيضاً وجدت نفسها أمام صعوبة تطبيق ذلك الاتحاد على أساس الدين الإسلامي وذلك لتشابك دساتير هذه الدول مع الميراث السوفيتي ووجود نسبة من السكان غير المسلمين من تلك الجمهوريات وغيرها من الأسباب ، أي إن شعوب هذه الدول كأشخاص مسلمين هم المتمسكين بالشريعة الإسلامية . وكل ذلك يعني إن تاريخ تطور واستقلال جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وإمكانية الوحدة فيما بينها يكون مشروطاً بمواقفها الجيوسياسية وكذلك بتشابه عواملها وظروفها التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعرقية ، وهذا يضعها أمام الحاجة أولاً لتعزيز السيادة والاستقلال والبحث

---

[٤٤] د. فردريك ستار ، البيئة الأمنية في آسيا الوسطى ، سلسلة محاضرات الإمارات –38– ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي – دولة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٩ ، ص ٧ .

[٤٥] نفس المصدر أعلاه ، ص ص ٧– ٨ .

[٤٦] آسيا الوسطى : البحث عن الأولويات ، ترجمة : سميرة إبراهيم عبد الرحمن ، نشرة قضايا دولية ، العدد ٤٤ / ٢٠٠١، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد ، ص ٤٦ .

[٤٧] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨ .

عن متغير التنمية أي تنمية تكاملية التي تكون لها مراحلها الخاصة والمتتابعة[٤٨]. وعليه فقد انضمت جمهورياتآسيا الوسطى الإسلامية بعد موافقة برلماناتها إلى جانب غيرها من الجمهوريات– السوفيتية السابقة –المستقلة إلى رابطة الدول المستقلة (CIS)في عام ١٩٩١ والتي تهدف إلى المساعدة على نقل الوظائف الحكومية بشكل منظم و أحكام المعاهدات التابعة للاتحاد السوفيتي إلى الدول التي خلفته لترويج سياسات منسقة في نزع السلاح و الأمن القومي والعمل على تحقيق وحدة اقتصادية ، إلا إن الرابطة واجهت صراعاً داخلياً وعدم توافق بين الدول الأعضاء حول البيانات المكتوبة ، و رفضت برلمانات الجمهوريات التصديق على العديد من الاتفاقيات التي تم إبرامها ، فظهرت الخلافات السياسية حول أهداف الرابطة وسبب إنشاءها والخلافات حول السيطرة على أساطيل البحر الأسود التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي ، وكذلك حول الإصلاحات الاقتصادية ورفع المراقبة على الأسعار ، كما وظهرت مجدداً الخلافات والمشاكل والحروب العرقية والأهلية ، وبقي مستقبل رابطة الدول المستقلة مشوش وغير واضح واستمر عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في أجزاء كبيرة من آسيا الوسطى[٤٩]. ولم يقف الأمر عند رابطة الدول المستقلة – بالرغم من وضعها ومستقبلها غير الواضح وغير المستقر– فقد حققتتلك الجمهوريات حتى وإن بشكل فردي أو لعدد منها تجارب أو لعدد منها أو بشكل جماعي تجارب تعاونية أو تكاملية أخرى كاتحاد آسيا الوسطى (CAU)المؤلَف من كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان واوزبكستان ويتم العمل على توسيعه هيكلياً وبرامجياً ويعالج شؤون عدة كالتعاون العسكري وتوزيع موارد المياه مما يعزز الثقة في مستقبل التكامل في المنطقة ، إلى جانب ذلك كانت هناك مشاركة جميع دول آسيا الوسطى الإسلامية في منظمة التعاون الاقتصادي (ECO)مع تركيا وإيران وباكستان ، هذا فضلاً عن قيامها– أي جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية– ببناء علاقات ثنائية مع آسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية[٥٠]. بمعنى إن السنواتالاولى من عقد التسعينات من القرن العشرين شهدت فترة لمعرفة الذات وتقدير القوة والتحرك باتجاه التعاون باتجاه التعاون في آسيا الوسطى فانضمت قرغيزستان إلى المعاهدة التي تقيم وحدة اقتصادية بين كازاخستان و اوزبكستان ، كما و وقعوا اتفاقية التعاون التقني – العسكري وتشكيل قوة حفظ سلام موحدة في آسيا الوسطى ، كما تم تأسيس بنك آسيا الوسطى للتعاون والتنمية ، إلى جانب تشكيل لجان بين الدول لتنسيق أعمالها كما وحصلت لقاءات بين رؤساء الدول ، وكان أهمها قمة رؤساء الدول المشاركة في اتحاد آسيا الوسطى السالف الذكر حيث تم توقيع اتفاقية للصداقة الدائمة بين جمهوريات كازاخستان وقرغيزستان و اوزبكستان ، وقادت هذه المعاهدة إلى معاهدة صداقة بين كازاخستان و اوزبكستان وبين قرغيزستان واوزبكستان . كما تم إعداد مجموعة مشاريع استثمارية ثلاثة منها بقرغيزستان شملت إنتاج المحركات الكهربائية في (الشركة المساهمة المشتركة) وإنتاج الغاز وبناء خط ثاني لحقول الغاز على الأراضي القرغيزية . إلى جانب إلقاء برنامج التكامل الاقتصادي لجمهوريات كازاخستان وقرغيزستان و اوزبكستان الضوء على مجالات التعاون ذات الأسبقية التي تشمل منشآت النفط والطاقة والبحث عن المعادن واستخراجها والصناعة الكيمياوية وصناعة إنتاج الأدوات الاحتياطية وصناعة البضائع الاستهلاكية والمنشآت الزراعية– الصناعية والنقل والمواصلات[٥١]. وبالنسبة لقرغيزستان وطاجيكستان فإن أفضل مورد لديهما يتمثل في إمكانية بيع الطاقة الهايدروكهربائية والمياه التي تنبع من جبالهما عبر بقية آسيا الوسطى ، وإلى جانب كل تلك المشاريع المقترحة

---

[٤٨] آسيا الوسطى : البحث عن الأولويات ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٦ – ٤٧ .

[٤٩] مارتن غريفيش و تيري أوكالاهان ، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية ، مركز الخليج للأبحاث ، المعرفة للجميع، دبي – الإمارات العربية المتحدة ، تشرين الثاني ٢٠٠١ ، ص ص ٢٢٩ – ٢٣١ .

[٥٠] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ .

[٥١] آسيا الوسطى : البحث عن الأولويات ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ .

والمخططة ينبغي عدم تجاهل اعتماد هذه الجمهوريات في الدرجة الاولى على الاقتصاد الزراعي ، وما لم يعطى هذا القطاع الأولوية القصوى فإنها ستعاني تراجع كبير في اقتصادها ، وإلى جانب ذلك إن على هذه الجمهوريات أن تدخل إصلاحات سياسية وإدارية أو تواجه الصعوبات خلاف ذلك. إلا إن الإصلاح المطلوب من المفترض أن يكون إصلاح تدريجي وبأسلوب يتم فيه الحفاظ على المساواة الاجتماعية ويصون استقرار الدولة، وإذا كان بالفعل قد تحقق نوع من التعاون والتكامل الإقليميين والتطور والإصلاح والاعتراف الدولي واتخاذ مواقع في المنظمات الدولية ، وتمكن بعضها كجمهورية اوزبكستان انتهاج نهج مدروس للتغيير، وتمكنت من تحقيق ناتج محلي إجمالي أعلى معدل مما بلغته في فترة ما قبل الاستقلال وبشكل يفوق الجمهوريات الأخرى. كما وقد تأثرت تلك الجمهوريات بالأزمة المالية العالمية ولكن لم تشهد أياً منها درجة الانهيار الاقتصادي الذي عانته ووصلته روسيا. إلا إن كل ذلك لا يعني إن أوضاعها – أي الجمهوريات – سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية تسير باتجاه إيجابي وصحيح بشكل كبير ، إذ برزت العديد من المشاكل التي يمكن تعرض أمن المنطقة للخطر كالنزاع حول نسب توزيع موارد المياه النادرة كأكبر تهديد لأمن المنطقة ، وكذلك مشكلة النمو السريع للسكان والتحول الحضري العشوائي وارتفاع معدل استهلاك المياه في المدن الذي سينتج عنها استنفاذ موارد المياه غير الكافية ، وكذلك التحول الحضري الذي سينتج عنه مشكلات في الخدمات الاجتماعية في مجال التعليم والصحة وتفاقم العجز المالي للحكومة ، وانعدام التكيف الملازم لعملية الهجرة إلى المدن والاستقطاب المتنامي للدخل ، هذا فضلاً عن تصاعد التوترات ومواطن الأزمات والصراعات والحروب الأهلية والتوترات العرقية والدينية كالأزمة بين أذربيجان وأرمينيا والتوتر المتصاعد بين طاجيكستان و اوزبكستان والصراع على أبخازيا[٥٢]. فعلى سبيل المثال النزاع في طاجيكستان الذي اندلعت المرحلة الاولى منه في آب ١٩٩١وأيار ١٩٩٢ نتيجة عوامل متعددة كإثارة النزاع السياسي بين الحزب الشيوعي الحاكم والمعارضة السياسية ، فاندلعت مظاهرات حاشدة في دوشانبه أجبرت مجلس السوفيت الأعلى الطاجيك على إعلان حظر نشاط الحزب الشيوعي وإجراء انتخابات قومية عامة فيما بعد ، وعقب استقالة رئيس طاجيكستان كاخار مخكاموف نتيجة الضغط الشعبي تحتَّم على طاجيكستان أن تختار لها خلفاً له بطريقة ديمقراطية، وتم انتخاب المرشح الشيوعي رحمون نبييف فاستعاد الحزب الشيوعي ثقته بالفوز بالسلطة ، فاتخذت المعارضة مواقف أكثر صرامة فطالبت باستقالة نبييف ووضع دستور جديد وإجراء انتخابات جديدة ودخل النزاع مرحلة المواجهات العنيفة ، وأجبر نبييف على الاستقالة، وتم تشكيل حكومة ائتلافية، ولكن مع استمرار الحرب واستحالة وضع نهاية لها قرر الرئيس المؤقت أكبرشو إسكندروف وحكومته الاستقالة ، ووصلت حالة الصراع إلى بدء حرب العصابات بين قوات المعارضة وقوات الحكومة[٥٣]. إذن هناك عوامل داخلية وخارجية ساهمت في تصعيد النزاع كأزمة الهوية الوطنية وانبعاث السياسات العرقية المحلية الضيقة ، إلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية والأطراف الداخلية للنزاع، ناهيك عن المؤثرات الخارجية التي تعود إلى تأثير الوضع في طاجيكستان وطبيعته على مصالح القوى الخارجية وعدم قدرتها – أي طاجيكستان– على مقاومة الضغوط الخارجية بسبب أوضاعها غير المستقرة[٥٤].

المثال الآخر على الأوضاع الداخلية غير المستقرة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ولكن في مراحل متأخرة وليس في بداية عهدها بالاستقلال هي جمهورية قرغيزستان والتي لم تكن أوضاعها مفاجئة أو جديدة وإنما جاءت

---

[٥٢] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩ – ١٢ .

[٥٣] جوليان ثوني ، النزاع في طاجكستان التفاعل بين التمزق الداخلي والمؤثرات الخارجية 1991 – 1994، دراسات عالمية العدد3، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي – دولة الإمارات العربية المتحدة ، ص ص ١٠ – ١٢ .

[٥٤] نفس المصدر أعلاه ، ص ص ١٣ – ٣٠ .

نتيجة تراكمات داخلية ترجع إلى حالة عدم الاستقرار بعد أزمة حادة في السلطة وقعت بعد إجراء الانتخابات البرلمانية فوقعت اضطرابات شعبية في الأقاليم الجنوبية الفقيرة ، وجرت مظاهرات جماهيرية بمشاركة ممثلي مختلف الأحزاب وسميت بثورة السوسن في آذار ٢٠٠٥ فأسقطت حكومة عسكر عكاييف و صعدت المعارضة برئاسة كرمان بيك بيكاييف إلى السلطة في بيشكيك . وإلى جانب هذه العوامل كانت العوامل الخارجية المؤثرة في تطورات الأزمة[٥٥]. إلا إن عدم إحراز أي تقدم دفع إلى قيام تظاهرات في شباط ٢٠٠٥ ضد الرئيس كرمان بيك بياكييف ومستشاريه . وكذلك في تشرين الثاني ٢٠٠٦ أسفرت عن حدوث تغيير دستوري فتقلصت السلطات الرئاسية وزادت صلاحيات الحكومة والبرلمان ، إلا إن الرئيس وقّع في كانون الثاني ٢٠٠٧ على دستور جديد يعيد إليه بعض تلك الصلاحيات وقد أوضحت تلك الحالةالجمود واستمرار حالة عدم الاستقرار[٥٦]. وبالفعل استمرت تلك الأوضاع في قرغيزستان فشهدت أحداث واضطرابات ومظاهرات في نيسان ٢٠١٠ قادت أو انتهت باستقالة الرئيس القرغيزي كرمان بيك بيكاييف في ١٥ نيسان ٢٠١٠ وهروبه من البلاد ومجئ حكومة انتقالية برئاسة وزيرة الخارجية السابقة وزعيمة المعارضة روزا اوتونباييف لتتولى المسؤولية في قرغيزستان ريثما تجري انتخابات في خلال ستة أشهر، وقد حظيت روزا اوتنباييف بقبول روسيا والدول الغربية. وقد استدعت التطورات للإسراع في تشكيل قوات حفظ السلام التي تضم قوات عسكرية من روسيا وأرمينيا وبيلاروسيا وكازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان واوزبكستان مهمتها حفظ السلام والبحث في إمكانية إرسالها إلى قرغيزستان لتباشر تنفيذ مهامها لإحلال الأمن والاستقرار والقضاء على الفوضى، إلا إن مسألة استعادة الأمن والنظام في قرغيزستان بعد هذه الأحداث لم تكن عملية سهلة نتيجة الانقسامات الداخلية بين شماله وجنوبها ، ومواجهة الحكومة الجديدة لتحديات كثيرة بسبب التوترات الأثنية وزعزعة الاستقرار وحالة العنف التي رافقت ثورة قرغيزستان والتي تنذر دولاً أخرى في آسيا الوسطى[٥٧].

من كل ذلك نصل إلى القول إن الأوضاع الداخلية في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ما بعد الاستقلال ولحد الآن تشهد حالات عدم استقرار تصل إلى حد الفوضى أحياناً وتوترات وصراعات وحروب أهلية تمتد أسبابها بين الداخلية والخارجية وتحتاج إلى وقت وجهود حثيثة وإرادة وطنية تضع مصالح تلك الدول في المرتبة الاولى للتمكن من معالجة هذه الأوضاع والأزمات في تلك الجمهوريات .

رابعاً : أثر الدور الإقليمي و الدولي تجاه جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية :-

إن تتبع الأحداث والتطورات الحاصلة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية لن يبتعد أو ينفصل عن الدور والأثر الإقليمي والدولي الناشئ عن وضع الجغرافية السياسية والوضع الإستراتيجي لهذه الدول[٥٨]. فالتنافس الإقليمي والدولي يتم وفقاً لمصالح وتقديرات اللاعبين المتنافسين لأفضل إستراتيجية تحقق مساعيها للسيطرة على والتواجد في تلك المنطقة ، ومن الطبيعي أن لا تكون تلك المحاولات والمساعي يسيرة أو غير مكلفة لتلك القوى ، فآسيا الوسطى و على مختلف المراحل التاريخية وكذلك الآن تحتل (ثقب العالم) وذلك وفقاً لتشبيه الباحث الشهير في شؤون التنمية أندريه جوندر

---

[٥٥] أحمد دياب ، أحداث قيرغيزستان ... تنافس أم توافق بين واشنطن وموسكو ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٨١) ، يوليو ٢٠١٠ ، مركز الأهرام ، القاهرة ، ص ص ١٩٦ – ١٩٧ .

[٥٦] بال دوناي – وزدز سلولاتشوفسكي ، ١– الأمن والمؤسسات الاورو– أطلسية ، من كتاب : (التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، sipri معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي ، المعهد السويدي بالإسكندرية، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ، تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٧ ، ص ١٢٩ .

[٥٧] أحمد دياب ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٩٦ – ٢٠٠ .

[٥٨] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

فرانك ، فهي تشد إليها بموقعها ومواردها إمبراطوريات وقوى كبرى تحملها على التزاحم على والتنافس عليها ثم بعد ذلك تدفعها بقسوتها بعيداً عن هذا الثقب الجغرافي الكبير لتدخل قوى أخرى جديدة وهكذا[٥٩].

بمعنى ان الفراغ الناشئ في آسيا الوسطى نتيجة تفكك الاتحاد السوفيتي قد حرّك بعض القوى الإقليمية والدولية للاقتراب من هذه المنطقة والدخول فيها ، وبما إن جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية كانت سابقاً مقيدة بالسياسة السوفيتية وتخشى الآن وبعد استقلالها من استمرار ذلك القيد من قبل روسيا الاتحادية ، إلى جانب القيد الآخر الناتج عن جغرافيتها الطبيعية المنحبسة أو الحبيسة أو المنغلقة والتي حرمتها من المنفذ البحري ، فما كان أمامها إلا أن رحبت بتحركات القوى الإقليمية والدولية تجاهها — وبالطبع إن القول بالترحيب لا يعني الترحيب بشكل مطلق- طالما ستفك عنها تلك القيود السياسية والجغرافية لما سيوفرونه لها من منافذ تتمكن من خلالها من تصدير ثرواتها إلى المرافئ النهائية للحصول على عوائد تدعم مكانتها واستقلالها الحديث ، وتحافظ على سيادتها ، إلا إنها في الوقت ذاته تدرك وبشكل واضح وجلي مخاطر ذلك التحرك المتمثل في اللعبة الدولية أو استضافتها للعبة الأمم على أراضيها[٦٠]. أي إن ذلك الدور الخارجي الإقليمي والدولي لن يظهر بجانبه الإيجابي فقط بل سيتوزع بين إمكانية تعاون دول الجوار الجغرافي مع دول آسيا الوسطى الإسلامية أو أن تشكل تهديداً خطيراً من ضمن التهديدات التي يتعرض لها أمن هذه الدول ، فبذلك ستنشئ تلك التهديدات بيئة يمكن أن تعرض التقدم في الإصلاحات والتنمية التي هي أصلاً بطيئة إلى الخطر مما يؤثر على هذه الدول[٦١]. وذلك في إطار تحقيق القوى الإقليمية والدولية لمصالحها وأهدافها التي تتأتى من خلال إبراز تأثيرها ودورها في دول هذه المنطقة . وبالمقابل فإن دول آسيا الوسطى الإسلامية و بالرغم من ترحيبها كما ذكرنا بتلك الإقليمية والدولية الأدوار الإقليمية والدولية نجدها تتحير بين تخوفها منها من جهة والحاجة إلى أو الرغبة في تطوير علاقاتها التي ستستفيد فيها من تلك القوى من جهة أخرى. إلى جانب رغبتها في أن تكون علاقاتها متنوعة مع القوى الإقليمية والدولية لكي لا تكون تحت ضغط أو تأثير أو احتواء دولة أو قوة واحدة ، لذا فلم تدخل اللعبة الإقليمية و الدولية كلاعبين لأن ذلك لا يتناسب مع إمكاناتها وقدراتها لهكذا أدوار، ولكنها من ناحية أخرى لم تكن لتقبل بدور المتفرج أو المشاهد لأن لها من المقومات ما يدفعها لأخذ الدور الذي يتناسب مع مؤهلاتها ، فدخلت دول آسيا الوسطى الإسلامية كأصحاب الميدان الذين لهم الحق في أن يحصلوا على أكبر العوائد الممكنة بحيث تعمل ولكنبالقدر الذي تتمكن فيه من اختيار مضن يحقق لها أفضل العوائد فهي مثلاً تعقد صفقات طويلة الأجل مع القوى الكبرى عندما تكون مأمونة الجانب لتتيح بالمقابل لتلك القوى فرصة الوجود في مواقع مؤثرة في المنطقة وعادةً ما تكون صفقات اقتصادية تتركز في استثمارات النفط والغاز[٦٢]. فبين إمكانية التعامل والتعاون بين هذه الجمهوريات والقوى الإقليمية والدولية وكذلك الخشية أو الحذر منها وبين طموحات تلك القوى في التنافس على تلك الجمهورياتكيف واجهت دول آسيا الوسطى هذه الحالة ؟ ومن الطبيعي وعلى الأغلب ان المنافسة الإقليمية والدولية تتركز في بعض القوى أكثر من سواها بشكل اكبر فهنا يكون التركيز في المنافسة على روسيا الاتحادية و تركيا وإيرانو وكذلك الصين وباكستان والهند وأوكرانيا وبشكل أبعد وأكثر تأثيراً جغرافياً الولايات المتحدة الأمريكية[٦٣]، وغيرها من الدول الأقل تأثيراً .

---

[٥٩] د. إبراهيم عرفات، آسيا الوسطى.. التنافس الدولي في منطقةمغلقة، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٦٧) ، يناير، مركز الأهرام ، القاهرة ، ص ١٢٤ .

[٦٠] نفس المصدر أعلاه ، ص ١٢٥ .

[٦١] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

[٦٢] د. إبراهيم عرفات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٦ .

[٦٣] زبيغنيو بريجينسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧١ .

ففيما يتعلق بروسيا الاتحادية فإن طموحاتها تصل إلى حجم اكبر وأوسع من بقية القوى الإقليمية والدولية في المنطقة نظراً لقربها الجغرافي وارتباطاتها التاريخية ومصالحها في المنطقة ووجود ملايين الروس في تلك الجمهوريات ، فضلاً عن الرغبة الروسية في إعادة مكانة روسيا كقوة عالمية ، فأوضحت السياسة الخارجية الروسية ان المجال الحيوي الذي كان يشغله الاتحاد السوفيتي سابقاً يشكل منطقة أو مجال مصلحة جيوبوليتيكية روسية ، وعليه تحاول استبعاد أي نفوذ خارجي سواء كان سياسي أو اقتصادي[٦٤]. حتى إن النزاعات أو التوترات العرقية والدينية القديمة التي كان الاتحاد السوفيتي يكبتها أو الحديثة التي كان من الممكن أن تبقى ساكنة لولا إقدام روسيا على إشعالها لتحقيق أغراضها الخاصة كلها تدخل في إطار مساعي روسيا – الكامنة- في المنطقة في أن (تبقي هذه الدول جميعها متقدة على جمرهادئ) على حد تعبير أحد قادة المنطقة من أجل أن تبرر دورها كحكم ووسيط[٦٥]. فقد شنت – أي روسيا – حملتها على عدة جبهات في دول آسيا الوسطى كاستخدامها للسيطرة الاحتكارية على خطوط الأنابيب لوقف صادرات النفط والغاز في كازاخستان وأذربيجان وتركمانستان مما تسبب في انخفاض الناتج القومي الإجمالي بمقدار ٣٠% في تركمانستان .أما بالنسبة لإقليم ناجورنو- كاراباخ فقد لعبت روسيا دوراً أساسياً في النزاع حول الاقليم ، وفي الوقت الذي لعبت فيه دور الوسيط المحايد في النزاع تقوم من جانب آخر ببيع صواريخ متطورة وسرب طائرات ميج 29 ، وأسقطت حكومة الشيبي)(Elchibey في أذربيجان وحاولت مرتين الإطاحة بالرئيس علييف (Aliyev) . فلروسيا العديد من الأهدافالأساسية في المنطقة تسعى فيها لاستعادة دورها في تسيير الشؤون الداخلية في أذربيجان وجذب كازاخستان للدخول في علاقة شبه فيدرالية مع روسيا وكذلك إضعاف اوزبكستان[٦٦].

ولكن روسيا لم تبقَ فقط على هذه الطريقة التي من الممكن أن تكون غير مقبولة من قبل الأطراف الأخرى ، ومن أجل أن تتمكن من تحقيق طموحاتها فقد أدركت ان علاقاتها بجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من الأفضل أن تكون من خلال أسلوب الترغيب وليس الترهيب ، فتقدم لهذه الجمهوريات الضمانات لتعزيز علاقاتها وبناء تحالفاتها من خلال مساندة الأنظمة الحاكمة في هذه الجمهوريات ومقاومة الإرهاب، وحماية الحدود البينية لها من خلال ضمان عدم اندلا ع نزاعات حدودية مستقبلاً أو من تسلل عناصر مهاجرة إلى هذه الجمهوريات ، وتوقيع معاهدات دفاع مشترك وتسليح حديث وتدريب عسكري مشترك وتنسيق أمني عبر منظمة شنغهاي ، والعمل على تسويق المنتجات النفطية إلى أسواق أوروبا عبر الأنابيب الروسية ، إلى جانب فتح الأسواق الروسية أمام الأيدي العاملة المهاجرة من هذه الدول[٦٧]. ولكن لابد من القول انه سواء بالترغيب أو الترهيب فإن روسيا تفتقر الإرادة والموارد الكافية لتحقيق طموحاتها ، فبعد هزيمة السوفيت في أفغانستان والروس في الشيشان لم تعد لهم الرغبة في محاربة دول إسلامية ، كما إنهم اقتصادياً لم يتمكنوا من إبقاء استثماراتهم في آسيا الوسطى ، وعلى المدى البعيد لا تتمكن روسيا من إبقاء احتكارها لصادرات النفط والغاز[٦٨].

ومن ناحيتها فإن جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية لا تريد أن تكون مطلقة التبعية لروسيا الاتحادية وقد تمكنت بالفعل من التخلص من الاحتكار الإقليمي أو التبعية لروسيا الاتحادية لتلج مرحلة جديدة تتسم بالانفتاح الإقليمي أو

---

[٦٤] نفس المصدر أعلاه ، ص ص ١٧١ – ١٧٢ .

[٦٥] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٠ – ١١ .

[٦٦] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٤ – ٢٥ .

[٦٧] د. عاطف عبد الحميد ، روسيا وآسيا الوسطى .. حماية المصالح واحتواء الأخطار ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٧٠) ، أكتوبر ٢٠٠٧ ، مركز الأهرام ، القاهرة ، ص ٨٥ .

[٦٨] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

ما أطلق عليه السيولة الإقليمية (Regional Fluidity)التي وفرت الفرصة للعديد من القوى الإقليمية والدولية لاختراق المنطقة والنفاذ إليها وهذا ناتج عن الجغرافية الحبيسة لتلك المنطقة وحاجة تلك الدول إلى شركاء خارجيين آخرين إلى جانب روسيا ليتم موازنة النفوذ الروسي لاسيما وإن الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى تبقى تحمل شكوكاً عميقة وتاريخية تجاه ذلك النفوذ الروسي[٦٩]. وإلى جانب ذلك هناك قلق روسي آخر يضعف من إمكانية تحقيق المصالح الروسية في تلك المنطقة وهو كثافة المصالح الأمريكية ودخولها المنطقة ذاتها ومن الطبيعي أن يكون الدخول الأمريكي في مختلف المجالات من السياسة إلى الاقتصاد والطاقة[٧٠].

أما فيما يتعلق بالتطلعات التركية إلى نفوذ إقليمي في منطقة آسيا الوسطى تنطلق فيه من الإحساس بتماثل الهوية اللغوية والعرقية مع الشعوب التركية في المنطقة ، إلا إن القوة السياسية والعسكرية التركية تتحدد تحركاتها في الحصول على مجال للنفوذ السياسي بالرغم من استثمار قوتها الاقتصادية ، فبذلك تكون المسألة غير سهلة التنفيذ[٧١]. إلا إنها لم تستسلم لتلك المحددات وإنما قامت وتحديداً في عامي ١٩٩٢ و١٩٩٣ بحملة قوية سعت عبرها لتزعم مجموعة الدول ذات الأصول التركمانية (Turkic) والممتدة من الأناضول الشرقية إلى الحدود الصينية ، إلا إن نتائج الركود التركي والظروف السياسية التركية حجَمَت وحدَت من ذلك التحرك سياسياً ، ولكنها استمرت في نشاطها وبرنامجها التجاري والاستثماري ، وكذلك ساهمت في تأسيس أكثر من مائة مدرسة ثانوية وبعض من الجامعات في المنطقة، وحتى على الصعيد العسكري طرحت بعض الجمهوريات في آسيا الوسطى كأذربيجان وغيرها مقترحات تحالف أمني و عسكري مع تركيا ولكن دافع ذلك هو الدعم الروسي لأرمينيا أو الضغوط الروسية عبر كومنولث الدول المستقلة بشكل عام[٧٢]. إذن فالنموذج التركي ممكن أن يكون مرحَب فيه في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية و لاسيما من قبل قادة تلك الجمهوريات ، ولكن لكي يكون الدور أو التحرك التركي فاعلاً في تلك المنطقة فانه يحتاج إلى إسناد ودعم وبالطبع سيتجسد في الدعم الأمريكي لقدرات وإمكانيات تركيا المحدودة لتتمكن من النفوذ إلى جمهوريات في آسيا الوسطى الإسلامية[٧٣].

أما بالنسبة لعلاقات إيران مع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية فبعد استقلالها كانت علاقات تلك الجمهوريات مع إيران تتسم بالفتور والخشية والتحفظ ، إلا إنه سرعان ما تبدلت الحالة وبدأت تتضح ملامح الثقة من قبل حكومات وقادة الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى بشكل اتضح في مقترحات توسيع العلاقات التجارية مع إيران وذلك في إطار منتدى مجلس التعاون الاقتصادي ، وبذلك عاودت إيران دورها كمشارك تجاري في المنطقة ، وتم فتح خط السكك الحديدية مع طاجيكستان وكان عاملاً معززاً لدور إيران في المنطقة ، وفي مجال الطاقة (النفط والغاز) وبما إن إيران من المنتجين الأساسيين للنفط الغاز فمن الطبيعي أن يكون التنافس قائماً بين هذه الأطراف[٧٤].

أما الصين فإنها تسعى ما استطاعت لأن تثبت بأنها جار أو طرف إقليمي إيجابي ومسؤول للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى ، فقد قامت بأكبر عمليات استثمار في كازاخستان التي تجد في الصين موازن لقوة روسيا الاتحادية ،

---

[٦٩] د. إبراهيم عرفات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٥ .

[٧٠] خير الدين نصر عبد الرحمن ،آسيا مسرح حرب عالمية محتملة ، دراسات إستراتيجية ، العدد (56) ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي – دولة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الاولى ،٢٠٠١ ، ص ٦١ .

[٧١] زبيغنيو بريجينسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٢ .

[٧٢] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧ .

[٧٣] عباس فاضل عطوان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٥٤ – ٥٥ .

[٧٤] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٩ – ٢٠ .

أما طاجيكستان فتسعى لتنمية معاملاتها التجارية مع الصين لتعزيز اقتصادها بشكل متبادل ، كما وعدت الصين بتطوير خط أنابيب يتيح للنفط الكازاخستاني المرور عبر الحدود الإيرانية – التركمانستانية وهذا يفتح منفذ في الجنوب وهو ما لا ترغب به روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية . ولكن إلى جانب هذه الصورة الإيجابية نجد إن الصين أيضاً تشكل قلق أمني للمنطقة على المدى البعيد، فاقتصادياً تخشى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من سيطرة التجار الصينيين على أسواق قرغيزستان، وكذلك منالسعي لاختراق أسواق كازاخستان وطاجيكستان ، كذلك تهديد الصادرات الصينية الرخيصة لأسواق آسيا الوسطى وقدرة شركاتها الصغيرة والمحلية على المنافسة، إلى جانب الخشية من أن تكون الصين الضامن الوحيد لخطوط الأنابيب عبر كازاخستان وكذلك لحقولها النفطية . وعلى الصعيد السكاني هناك قلق بعيد المدى من وجود أعداد كبيرة من السكان المسلمين ذوي الأصول التركمانية في مقاطعة سينكيانج الصينية (Xinjiang) ، وترى بكين في أي حملة مطالبة بالحكم الذاتي أو الاستقلال من جانب هؤلاء السكان من اليغور (Uighur) والكازاخ والقرغيز تهديد لسلامة الأراضي الصينية ، فعلى الرغم من سيطرة الدولة الصينية على الحركات المطالبة بالحكم الذاتي إلا إنها تخشى من الاحتمالات المستقبلية إذا ما تغير وضعها – أي الصين– لاسيما الاقتصادي فستكون دول آسيا الوسطى ومن وجهة النظر الصينية مهددة لها من هذه الناحية[٧٥].

أما بالنسبة لباكستان فقد وجدت في استقلال جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية فرصة دبلوماسية وتجارية لها ، إلا إنها لم تتمكن من الاستفادة من تلك الفرصة نتيجة انهماكها بمشاكلها الداخلية من جهة وصعوبة وصولها إلى تلك المنطقة من جهة ثانية ، ودعم باكستان لحركة طالبان في أفغانستان وارتياب تلك الدول منها من جهة ثالثة . ولكن حتى هذه الحالة تغيرت مع بدء زيارة المسؤولين الباكستانيين إلى طشقند ودخول باكستان ودول آسيا الوسطى الإسلامية في مباحثات لإعادة تقييم العلاقات الثنائية ، وفي عام ١٩٩٩ تم فتح طريق رابط بين وادي فرغانة ودوشانبه مع الطريق السريع في قرة كوم ، ولكن تبقى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية في حالة قلق تجاه باكستان[٧٦].

أما فيما يتعلق بدور الولايات المتحدة الأمريكية في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية فيمكن القول ان الجيوستراتيجية الأوراسية بشكل عام أي تلك الدول التي تمثل ديناميكية جيوستراتيجية وذات تحفيز جيوبولتيكي تمثل غاية من غايات ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية بشقيها الاحتفاظ بالقوة المتفردة عالمياً وتحويل تلك القوة تعاون مؤسساتي عالمي متزايد[٧٧]. ففي كل جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية تقريباً كان للولايات المتحدة الأمريكية حضوراً ودوراً وفي أكثر من ميدان أي من الميدان السياسي والأمني – الإستراتيجي– إلى الميدان الاقتصادي والتجاري وكذلك الميدان الثقافي فضلاً عن ميدان النفط والطاقة – والذي سنتناوله في محور مستقل– فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمساعي كبيرة لترتيب أوضاعها ومصالحها وعلاقاتها في تلك المنطقة وتراوحت تلك المساعي بين خوض أو إمكانية خوض الحرب أو التهديد بها أو ترتيب علاقات اقتصادية وإستراتيجية أو غزو ثقافي أو اختراق القيم الأمريكية لدول تلك المنطقة ، إلى جانبإمكانية ترتيب الوجود العسكري الأمريكي والعلاقات الأمنية والسياسية مع الدول الآسيوية ، ناهيك عن قيام الشركات الأمريكية في الاستثمار في عمليات التنقيب عن النفط والغاز في حوض بحر قزوين وهو ما جرى مع حكومات جمهوريات آسيا الوسطى. ومن الطبيعي أن تنقسم المواقف بين القبول أو الرفض لهذا الدور، فنرى ان حكومات جمهوريات آسيا الوسطى التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي رأت القبول بالنفوذ

---

[٧٥] نفس المصدر أعلاه ، ص ص ١٨ – ١٩ .

[٧٦] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٠ – ٢١ .

[٧٧] زبيغنيو بريجينسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨ .

الأمريكي بديلاً عن سقوطها ، وفي الجانب الآخر هاجم الكثير من القادة من سياسيين ودينيين ونقابيين ومفكرين الغزو القيمي والثقافي المصاحب للنفوذ الأمريكي[٧٨]. فمن أجل ضمان دخولها إلى تلك المنطقة كدولة صناعية ومتقدمة لم تفرض الولايات المتحدة الأمريكية ضوابط أمنية على الدول حديثة الاستقلال في آسيا الوسطى بل كانت اختيارية من أجل أن تكون مقبولة فالشراكة من أجل السلام من جانب حلف شمال الأطلسي كانت مسألة طوعية فلم تنضم دول المنطقة بكاملها إليها فقط بل وأصبحت من أشد المتحمسين لها ، إذ رأت في الشراكة من أجل السلام الأطلسية القوة الموازية الممكنة للاتفاقية الأمنية لكومنولث الدول المستقلة من جهة وتسعى دول أخرى إلى تطويره وتعديله من أجل الحد من الوجود العسكري الروسي على أراضيها[٧٩]. وقد مرت تلك الدول بعد الاستقلال بالكثير من الأحداث والمواقف التي أوضحت أحياناً التقارب وأحياناً التباعد والرفض لوجود أو لتدخل أو نفوذ قوة خارجية كالولايات المتحدة الأمريكية ، فعلى سبيل المثال قبل أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ كانت حكومة اوزبكستان تبعث بإشارات إلى واشنطن تعلن فيها استعدادها للتقارب معها وفتح الساحة الإقليمية أمامها لتتقدم على حساب موسكو هناك ، وتأكد ذلك حينما أعلنت انسحابها

عام ١٩٩٩ من معاهدة الأمن الجماعي المنبثقة عن كومنولث الدول المستقلة التي تمنح روسيا الاتحادية غطاءاً قانونياً يبرر وجودها العسكري في المنطقة ، وبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ تحولت تلك الإشاراتإلى واقعفعلي إذ سمحت اوزبكستان للولايات المتحدة الأمريكية باستعمال قواعد ومنشآت عسكرية على أراضيها أبرزها قاعدة خناأباد إلاإنها – أي اوزبكستان – عادت وطلبت من واشنطن سحب قواتها من تلك القاعدة بعد انتقاد الولايات المتحدة الأمريكية لسجل حقوق الإنسان في اوزبكستان بعد أحداث العنف في مدينة أنديجان في أيار ٢٠٠٥ ، إذ قامت بدل من ذلك بفتح ساحتها الإقليمية من جديد أمام روسيا الاتحادية وانضمت في كانون الثاني ٢٠٠٦ إلى الجماعة الاقتصادية الأوروآسيوية(Eura sec)للتقرب أكثر من موسكو ، وعادتكذلك في عام ٢٠٠٦ إلى العمل مجدداً مع منظمة الأمن الجماعي. ولتعويض ذلك الوجود بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في إيجاد موقع لها في تركمانستان وبالتحديد في قاعدة ماري وجرى ذلك من خلال اتفاق قائد المنطقة المركزية الأمريكية جون أبي زيد على ذلك مقابل تعهده وخلال زيارته لعشق آباد في آب ٢٠٠٥ بأن حصول واشنطن على التسهيلات العسكرية هناك سيقابله ضمان عدم الإطاحة بنظام الحكم في تركمانستان[٨٠].

إذن فالولايات المتحدة الأمريكية ومنذ أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ حاولت إزاحة موسكو عن آسيا الوسطى من خلال تدعيم التمركز العسكري لقواتها وقوات حلف شمال الأطلسي في أفغانستان بشكل تضغط فيه على دول آسيا الوسطى وتنطلق منها للتوغل والسيطرة على هذه الدول. كذلك تفاوض الولايات المتحدة الأمريكية دول آسيا الوسطى الإسلامية على تأجير بعض الأراضي لإقامة قواعد عسكرية لها ولحلف شمال الأطلسي ، وقد نجحت بذلك في اوزبكستان وقرغيزستان – وخاصة بالنسبة لقرغيزستان بعد الخلاف مع اوزبكستان – كذلك يتضح الدعم الأمريكي للانقلابات السلمية لإزاحة الأنظمة التي توالي روسيا وطبقت ذلك في قرغيزستان في ثورة السوسن في آذار ٢٠٠٥[٨١]. إلا إن تلك الآليات الأمريكية لا تعني إمكانية ضمان نفوذها وسيطرتها بشكل يسير وبدون مزاحمة في آسيا الوسطى

---

[٧٨] خير الدين نصر عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٣ – ٤٣ .

[٧٩] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٤ – ١٥ .

[٨٠] د. إبراهيم عرفات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٦ .

[٨١] د. عاطف عبد الحميد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٤ .

وذلك لأنها ستصطدم بإمكانيات القوى الأخرى الدولية والإقليمية التي ستتنافس معها على المنطقة ولاسيما التأثير والنفوذ الروسي .

سادساً: تأثير النفط والغاز الطبيعي على أوضاع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية

منذ زمن الحكم القيصري ظهرت صناعة النفط الدولية ، وبعد ثورة أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٧ في روسيا وتأسيس الاتحاد السوفيتي كانت موارد النفط والغاز حاضرة ومعروفة في هذه المنطقة ، ومن الطبيعي أن تكون تحت السيطرة السوفيتية ، أما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وسقوط كل المعوقات السياسية وحصول الكثير من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عادت دول آسيا الوسطى ولاسيما النفطية أذربيجان واوزبكستان وتركمانستان وكازاخستان لتأخذ مكانتها في هذا المجال وتجذب أنظار دول العالم ولاسيما الكبرى إليها لتطوير ونقل موارد الطاقة إلى الأسواق العالمية[٨٢].

فمن بين العوامل المؤثرة والمهمة بل والأكثر أهمية في التحولات والتغييرات التي مرت وتمر بها منطقة جمهوريات آسيا الوسطى هو وجود احتياطي نفطي كبير في حوض بحر قزوين إلى جانب وجود أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم لدى كل من كازاخستان وتركمانستان ناهيك عن القدرة التصديرية لأذربيجان والتي تصل إلى عشرة ملايين برميل من النفط يومياً ، فقد جلب ذلك العامل تلك الميزة والأهمية والتأثير في الإستراتيجيات الكونية فنشطت صوبها التحركات الدولية على اختلافها كالوجود الأمني والعسكري الأمريكي والإسرائيلي لحماية ودعم استثمارات الشركات النفطية الأمريكية التي بلغت حصتها في أذربيجان على سبيل المثال ٤٤%[٨٣]. وعلى ضخامة حجم احتياطيات وإنتاج بحر قزوين من النفط إلا إن التقديرات بصددها تبقى متباينة ، إلا إنه هناك اتفاق بين الخبراء على إن هذه المنطقة تأتي بعد منطقة الخليج العربي وقبل بحر الشمال من حيث الاحتياطيات ، أما التقديرات التي قدمتها إدارة معلومات الطاقة الأمريكية فتشير إلى ان حجم الاحتياطي المؤكد يصل إلى (١٠) ملايين برميل والاحتياطي المحتمل يصل إلى (٢٣٣) بليون برميل من النفط ، أما الغاز الطبيعي فيصل الاحتياطي المؤكد منه إلى (١٧٠) تريليون قدم مكعب[٨٤]. إذن مع هذه الوفرة سيوفر نفط بحر قزوين أساس للاقتصاد العالمي من خلال المعروض من النفط الذي سيعمل على الحفاظ على انخفاض أسعاره وسيعتمد ذلك على إدارة دول بحر قزوين للثروة النفطية والتي كلما أُديرت بشكل صحيح وإيجابي فإن ذلك سيعزز الاستقرار الاقتصادي والسياسي . ولا تقف أهمية نفط بحر قزوين على ذلك بل تتجلى في أمور أخرى وهي أولاً الناحية السعرية إذ سيعمل استمرار رفد السوق النفطية بكميات مضافة وإلى مدى بعيد في التأثير على ارتفاع الأسعار ، كما سيرسم أنماط التجارة بصيغ جديدة من خلال إبعاد منتجي الخليج العربي تدريجياً عن منطقة حوض المحيط الأطلسي ويدفعهم باتجاه آسيا التي ستشهد نسبة نمو عالية . كما سيقلل نفط بحر قزوين وعلى المستوى الأمني من مصادر الخوف والقلق على أمن الطاقة من خلال توفر أي مصدر بديل للطاقة والذي سيعمل على تحجيم تلك المخاوف[٨٥]. وإزاء الأهمية التي يمثلها النفط بشكل عام ونفط بحر قزوين بشكل خاص أظهر التقرير الإستراتيجي

---

[٨٢] د. حميد حمد السعدون ، نفط القوقاز ولعبة القوة ، مجلة دراسات دولية ، العدد (٢٦) ، شباط ٢٠٠٥ ، السنة السابعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الدولية ، بغداد ، ص ٢٩ .

[٨٣] خير الدين نصر عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٠ .

[٨٤] م. م. طالب حسين حافظ ، الصراع على نفط منطقة آسيا الوسطى والقوقاز ، مجلة المرصد الدولي ، العدد (١٣)، حزيران ٢٠١٠ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد مركز الدراسات الدولية ، بغداد ، ص ٦٣ .

[٨٥] م. م. طالب حسين حافظ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

الأمريكي للربع الأول لعام ٢٠٠٠ ان أهمية نفط بحر قزوين يمكن أن تصل إلى الحد الصراع والحرب المسلحة ، كما أوضح التقرير تلك الأهمية ضمن الأهداف الإستراتيجية الأمريكية وسعيها لضمان وصول احتياجاتها النفطية[٨٦].

وبين دول بحر قزوين من تعد من أكبر منتجي النفط إذ تمثل جمهورية كازاخستان أكبر منتج للنفط في منطقة بحر قزوين فيبلغ ١,٤ مليون برميل في اليومو يعتمد اقتصادها على مبيعات النفط في الخارج، كما وتنتج كمية كبيرة من الغاز الطبيعي وبشكل أساس من حقلي تنجيز وكارشاجاناك البريين اللذين تُشغلهما اتحادات مالية دولية . أما أذربيجان فتعد هي الأخرى من منتجي النفط الأساسيين في بحر قزوين إذ بلغ إنتاجها (٨٦٠) ألف برميل في اليوم في عام ٢٠٠٧ ، إلى جانب إنتاجها المتزايد من الغاز الطبيعي ، وقد تم إنشاء خطي أنابيب باكو تبليسي جيهان و باكو تبليسي أرضروم في بدايات هذا العقد ، وأخذت أذربيجان تصدر الغاز إلى جورجيا وتركيا إلى جانب وضع خطط مستقبلية للتصدير إلى الأسواق الأوروبية . أما تركمانستان فتمتلك الثروات النفطية وإن بنسب أقل لكنها تمتلك كميات أكبر من الغاز والتي بلغت (٧٢,٣) مليار متر مكعب عام ٢٠٠٧[٨٧].

إذن يتأتى الخوف والقلق الأمني في منطقة جمهوريات آسيا الوسطى من احتمالية فرض واحدة أو أكثر من القوى الدولية سيطرتها وتحكمها بالمقدرات النفطية والغازية من حقول واستكشافات في تلك الجمهوريات ، ذلك القلق الذي يساور كل من القوى الخارجية المتنافسة ودول المنطقة ذاتها ، لاسيما وان مسألة إمكانية اشتراك مجموعة دول في عمليات الاستكشاف والتصدير للنفط والتي تمثل الطريقة المثلى لاستقرار وأمن المنطقة لا تحظى بالإجماع والقبول من قبل الأطراف المعنية[٨٨].

فنتيجة لتلك الأهمية النفطية للمنطقة نشبت وتنشب الصراعات المحلية والدولية على نفط بحر قزوين وفي إطار ذلك حذَر كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الأمريكي الأسبق من (انه إذا نجحت موسكو في السيطرة على نفط بحر قزوين فإن ذلك يشكل نصراً لها يفوق أهمية ذلك النصر الذي حققه الغرب في توسيع حلف شمال الأطلسي (أي بضم الدول التي كانت حليفة للاتحاد السوفيتي السابق في شرق أوروبا إلى حلف الناتو) ، كما اتفق على عدد من المسؤولين الأمريكيين على إن حوض بحر قزوين ذي الثروة النفطية الهائلة أهم بؤرة لإنتاج الحروب والأزمات في القرن الحادي والعشرين ، وإن أضخم المناورات والصراعات في العقود المقبلة سوف تكون حول منطقة بحر قزوين[٨٩]. لذا ونتيجة اللاتأكدية أو عدم الوثوق الأمريكيلما ستجلبه الأحداث لمستقبل منطقة القوقاز الإستراتيجية التي ستعبر من خلالها أنابيب النفط والغاز القادمة من آبار النفط الأذربيجانية الذي تنتجه الشركات الأمريكية وخشيتها من أن تتحول المنطقة المتنوعة المذاهب والأعراق إلى منطقة صراع دامٍ يلحق الأذى بخططها فتؤشر الإستراتيجية الأمريكية إلى استخدام حلف شمال الأطلسي لتأمين وضمان الأمن والاستقرار بما فيها أمن النفط وأمن مصالحها في المنطقة[٩٠].

وبالفعل كانت موضع اهتمام القوى الدولية الكبرى ذلك الاهتمام الذي يصل حد التنافس على النفوذ في المنطقة ولاسيما بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية فقد سعت كل منهما إلى أن تكون حاضرة في المنطقة ليس

---

[٨٦] نفس المصدر أعلاه ، ص ٦٤ .

[٨٧] جفري مانكوف ، أمن الطاقة الاوراسية ، دراسات عالمية العدد (٨٩) ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠ ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي – دولة الإمارات العربية المتحدة ، ص ص ٣٤ – ٣٥ .

[٨٨] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥.

[٨٩] خير الدين نصر عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢ .

[٩٠] د. حامد عبيد حداد ، التنافس الأمريكي – الروسي في القوقاز وحوض بحر قزوين ، أوراق دولية ، العدد (١٦٤) ، نيسان ٢٠٠٨ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الدولية ، ص ١٢ .

فقط اقتصادياً وإنما عسكرياً وأمنياً كما أسلفنا لكي تضمن ذلك الوجود أو الحضور الاقتصادي ، إذ تواجدت روسيا الاتحادية منذ عام ١٩٩٩ وفي أماكن مختلفة في المنطقة بأعداد من الجنود والطائرات وبطاريات الصواريخ البالستيكية ، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقدمت لدول المنطقة النفطية وتحديداً بين عامي ١٩٩٨ – ٢٠٠٠ أكثر من مليار دولار مساعدات ، وبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ حشَدَت قوات ضخمة في المنطقة . كما إن مسارات خطوط أنابيب النفط والغاز الخارجة من دول بحر قزوين يمكن أن تولد صراعات أساساً بين دول المنطقة التي تمر خلالها ، وإذا ما عجزت تلك الدول عن تأمين حمايتها فأما أن تتحول إلى حرب فيما بينها أو ترى إنها ستحتاج إلى القوات الأجنبية من الحلفاء الروس أو الأمريكان لتأمين تلك الحماية وهنا سيبدأ خطر[٩١]، جديد أمام تلك الدول يتمثل في السياسات والخطط والمصالح التي تبتغيها تلك القوى في المنطقة .

فبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تتحدد اهتماماتها بحوض بحر قزوين في عدد من الأسباب وهي:

تأكيد الدور الأمريكي المسيطر في السياسات العالمية من خلال السيطرة والتحكم في ثروات وطاقات دول بحر قزوين بشكل يبقي الدول الأوروبية واليابان في المرتبة الثانية وفي حالة تابعة لها[٩٢]. إلى جانب استثمار طاقة حوض بحر قزوين واستخدامها كبديل لإمدادات منطقة الخليج العربي ، وكذلك ضمان وصول النفط والغاز إلى الأسواق الغربية بدون المرور من خلال روسيا وإيران[٩٣]. بمعنى إن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى للتنويع في مصادر الطاقة النفطية والغازية التي تحصل عليها فتستغل بحر قزوين كمجال إنتاج نفطي لاسيما مع فقدان مخزون نفط بحر الشمال لعنصر المنافسة من حيث الكميات، وعليه سيكون الوجود الأمريكي من خلال الشركات الأمريكية في مراحل الإنتاج والتسويق والنقل قد هيأ الأرضية الملائمة للإستراتيجية الأمريكية في الوجود في بحر قزوين سواء من الناحية الاقتصادية والتجارية والحصول على مصادر طاقة رخيصة وحماية الاستثمارات وتوفير الفرص التجارية للشركات الأمريكية وتحقيق الاستقرار في تلك المناطق المنتجة للنفط وتنمية مواردها كدول حديثة الاستقلال ، وضمان أمن الطاقة للولايات المتحدة الأمريكية حتى من حيث الوجود والمراقبة الأمنية والاستثمارية ولاسيما مراقبة روسيا والتضييق عليها في المنطقة التي تعدها المجال الحيوي لها ومن ثم تخفيف الصراعات الإقليمية وبناء علاقات اقتصادية واستثمارية مع دول تلك المنطقة ، فعليه تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بدعم إقامة شبكةخطوط الأنابيب لنقل موارد نفط بحر قزوين إلى الأسواق العالمية[٩٤]. كما وتتضح كثافة الوجود الأمريكي في استثمارات شركة شيفرون الأمريكية لنفط تركمانستان وأذربيجان والتي رصدت عشرين مليار دولار لاستثمارها في حقل تنجيز الكازاخستاني أحد أكبر عشرة حقول نفطية في العالم[٩٥]. فالولايات المتحدة الأمريكية تحاول مساعدة دول آسيا الوسطى لتنمية صناعاتها النفطية والغازية وتحقيق نمو اقتصادي مما يوفر لها فرص استثمارية و السعي لتحويل أو إخراج هذه الدول من إطار النفوذ الروسي وجعل الولايات المتحدة الأمريكية هي المسيطرة على هذه المناطق ومصادرها[٩٦] .

---

[٩١] نفس المصدر أعلاه ، ص ص ١٠ –١٢ .

[٩٢] د. حميد حمد السعدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ .

[٩٣] د. حامد عبيد حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

[٩٤] م. م. طالب حسين حافظ ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦٧ – ٦٨ .

[٩٥] خير الدين نصر عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ .

[٩٦] د. حميد حمد السعدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١ .

أما بالنسبة لروسيا الاتحادية فهي أيضاً تبذل قصارى جهدها ساعية لإبقاء وجودها في منطقة بحر قزوين التي ترفض روسيا الاتحادية تدخل أي قوة دولية و لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك المجال الحيوي[٩٧] . إذ حذر الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسين بأن القوقاز تقع في منطقة المصالح الروسية وإن هذه المصالح تضعف هناك مع الدخول الكثيف للمصالح الأمريكية إلى المنطقة[٩٨]، كما ذكرنا . فكرد فعل تعمل روسيا على الحفاظ أو السعي للحفاظ على وضعها الجيوبوليتيكي وتجنب خسارة المواردالاقتصادية الأساسية في تلك المنطقة فتعمل في كل الاتجاهات ، إذ تحاول إخراج الولايات المتحدة الأمريكية من ذلك المجال الجغرافياالحيوي الذي تعتبره خاص بها وبنفوذها ، إذ تبدي قلقها من حجم الاستثمارات في حقول نفط قزوين والذي من الممكن أن يؤثر على الاستثمارات الغربية في حقول سيبيريا والشرق الأقصى وبشكل سلبي ، أي إنها ستفقد جزء من أسواقها نتيجة لذلك . وفي اتجاه ثاني عملت روسيا ولازالت على دعم إيران في كل مجالات التعاون وحتى النووي لكي توازن وضعها مع مزاعم أذربيجان وكازاخستان في قزوين ، وشاركت في إنشاء أنابيب قرب أراضيها تجنباً للمرور في الميناء التركي[٩٩] . إذ مارست ضغطاً على أذربيجان وكازاخستان لكي ترسلا حصة كبيرة من صادراتهما النفطية عبر جنوب روسيا على البحر الأسود[١٠٠]. وما يساعد روسيا على التحرك بكل هذه الاتجاهات هو الوضع الجيوبوليتيكي الذي تعد روسيا جزءاً منه وإدراكها لدور الطاقة النفطية والغازية في ذلك الإطار الجيوبوليتيكي[١٠١] .

سابعاً : آليات تعامل جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية مع التحديات :-

يمثل اللاعبون الجيوستراتيجيون الفاعلون أو النشيطون الدول التي تمتلك القدرة و الإرادة اللازمة لممارسة النفوذ والتأثير فيما وراء حدودها ، ولديها كذلك الإمكانية والسعي لتحقيق عدة أغراض كالحصول على السيطرة الاقليمية والمكانة العالمية أو التأكيد الديني أو التقدم الاقتصادي أو الوجود القومي[١٠٢]. فهل يمكن أن تكون جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية من هؤلاء الفاعلين الدوليين. إن الأولوية المحركة لتوجهات اغلب مجتمعات هذه الجمهوريات تمثلت في مقاومة الهيمنة الخارجية والدفاع عن الجذور الحضارية والثقافية في مواجهة اجتياح يعمل على اقتلاعها[١٠٣]. غلا إن شدة وتنوع التنافس الدولي على تلك الدول يؤكد ضعف ومحدودية قدرات تلك الدول على المواجهة ، غذ إن دول آسيا الوسطى ولدت ضعيفة وتعاني من هشاشة بنيوية تجعلها غير مهيأة لبلوغ الكفاية الأمنية بنفسها وذلك يدفعها إلى البحث عن مَن يضمن أو يكفل ذلك الأمن لها من الخارج ، فتوصف دول المنطقة بأنها من المناطق الرخوة (Soft Regions) التي تواجه الكثير من التحديات الأمنية التقليدية سواء الإقليمية أو الدولية ، أو التهديدات العسكرية المتبادلة بين تلك الجمهوريات ولاسيما الخلافات الحدودية مما يدفعها إلى البحث عن المساعدة الخارجية ومن الطبيعي أن يعني هذا ضعفها أمام الخارج والذي يزيده أو يحفزه المشكلات والتحديات الأخرى كالتحديات البيئية والصحية ومشكلات اللاجئين والصراعات العرقية والدينية وكل ذلك يجعل القرارات تأتي من الخارج[١٠٤]. وهذا الاعتماد على

---

[٩٧] نفس المصدر أعلاه ، ص ٣١ .

[٩٨] خير الدين نصر عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ .

[٩٩] د. حميد حمد السعدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١ .

[١٠٠] د. حامد عبيد حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ .

[١٠١] د. حميد حمد السعدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١ .

[١٠٢] زبيغنيو بريجينسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨ .

[١٠٣] خير الدين نصر عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣ .

[١٠٤] د. إبراهيم عرفات ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢٦ – ١٢٧.

الخارج لا يقف عند وجهة واحدة وإنما يتراوح أو يتقلب حسب ما تقتضيه مصالح تلك الدول ، وهنا سيتركز أو يتمحور ذلك الاعتماد على الجانب الروسي والأمريكي باعتبارهما أقوى من يؤثر في تلك الدول ، وكل واحدة منهما تظهر نفسها بأنها الطرف المفيد لتلك الدول ، ومن جانبها تعمل دول آسيا الوسطى الإسلامية على اختيار الطرف الذي ترى بأنه بالفعل يمثل الطرف المفيد لها من خلال تحقيقي مصلحتها في التعامل مع ذلك الطرف ، فمثلاً هدفت الثورات الملونة إلى القضاء على النفوذ الروسي والتقارب مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ، لكن الممارسات الفعلية التي عاشتها النظم الحاكمة التي جاءت بها هذه الثورات أثبتت ان هناك قدر من الحلول الوسط مَيَزَ العلاقات السياسية التي انتهجتها هذه الدول تجاه روسيا والغرب والولايات المتحدة الأمريكية تحديداً[١٠٥].

فعلى دول آسيا الوسطى إذا أحست ان المواقف الروسية في صالحها فإنها تعمل على استمرار تمكينها من اتخاذ أراضي آسيا الوسطى مركز لإطلاق المركبات الفضائية ومراقبة الأسلحة الإستراتيجية والإشراف على محطات الطاقة النووية وعدم إدخالطرف ثالث في العلاقة والحفاظ على التنسيق والمتابعة العسكرية مع موسكو وبكين وتسهيل إقامة قواعد عسكرية وتسهيلات حربية إلى جانب التعاون معها في مجال الطاقة واستثمار ثروات بحر قزوين وتأمين نقل النفط عبر الأنابيب الروسية[١٠٦]. أما بالنسبة لعلاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية فتتداخل مصالح جمهوريات آسيا الوسطى الإسلاميةأو تتعارض وتصطدم معها فتصوغ أهدافها بالاتفاق أو التضاد مع المصالح الأمريكية[١٠٧]. فتعمل على التعاون مع المنظمات والهيئات الغربية والأمريكية على أن لا يؤدي ذلك إلى اختراق المنطقة عسكرياً[١٠٨].

إذن فأساس الأمن الإقليمي في آسيا لوسطى يكمن في التنمية المحلية أكثر من عوامل الجغرافية السياسية ، وكذلك من خلال تكوين دول ذات سيادة قابلة للبقاء ، ويمكن أن يتحقق للدول الثماني المستقلة الاستقرار الاجتماعي والثقة في النفس ، ناهيك عن الاهتمام والدعم الدوليين الضروريين لإيجاد حالة توازن بين القوى الخارجية الإقليمية والدولية التي تستهدف أو تتجه إلى هذه المنطقة[١٠٩].

بالرغم من إن جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية قد حصلت على استقلالها منذ فترة أي قد مرَ زمن على استقلالها إلا إنها لازالت تعيش أوضاع وظروف وتحديات مختلفة ومن أجل أن تواجه كل ذلك، ومن أجل أن تتخلص من الإرث الاستعماري للحكم السوفيتي تحتاج إلى وقت طويل وجهود مضنية وكبيرة ، وبالطبع إن القول بأن إنجاز وتحقيق كل التطلعات والإصلاحات والتغييرات بشكل سريع وإيجابي وكامل هي حالة مثالية في البيئة العالمية بكل أحداثها ومتغيراتها حتى وإن كانت بيئة دعم وتمكين ، أي إن العوامل الإيجابية القابلة للتحقيق تقابلها بالطبع عوامل سلبية سواء داخلية أو خارجية و يتطلب ذلك إيجاد الآلية الصحيحة للتعامل معها[١١٠]. وهذا يستلزم إتباع تلك الجمهوريات لسياسة تغلب عليها المصلحة والإرادة الوطنية تتمكن من خلالها من تطوير أوضاعها السياسية والأمنية وتحقيق تنميتها الاقتصادية بأساليب تعمل فيها على استثمار ثرواتها ومواردها واستخدامها بشكل إيجابي سواء في الوضع الداخلي لكل جمهورية بذاتها أو في علاقاتها البينية أو في علاقاتها الخارجية الإقليمية والدولية تظهر فيه من خلالها دول لها قدرتها ومكانتها في النظام الدولي .

---

[١٠٥] د. عاطف عبد الحميد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٤ .

[١٠٦] نفس المصدر أعلاه ، ص٨٥ .

[١٠٧] زبيغنيو بريجينسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٥٨ – ٥٩ .

[١٠٨] د. عاطف عبد الحميد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٥ .

[١٠٩] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

[١١٠] د. فردريك ستار ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

الخاتمـــة

أوضح البحث في الأوضاع والتحديات الداخلية غير المستقيمة لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية والتحديات والتنافسات الخارجية التي تعرضت وتتعرض لها ان على هذه الجمهوريات التي تتمتع بموقع إستراتيجي حيوي ومهم وتمتلك من الموارد الطبيعية الأكثر أهمية وهي النفط والغاز الطبيعي إلى جانب موارد كثيرة أخرى أن تستثمر كل تلك المقومات والعوامل بشكل إيجابي يؤهلها لتكون قوى مهمة وتمتلك قرارها ولها سياساتها المستقلة والمؤثرة على الصعيد الداخلي والإقليمي والدولي .

فعلى الصعيد الداخلي على جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية أن تغادر حالة التفرق والتشتت والانقسامات الداخلية، وتعي خطورة تلك الانقسامات على وضعها كدول مستقلة تحتاج إلى أن تحافظ على ذلك الاستقلال من إمكانية استغلال تلك الانقسامات من قبل أطراف أخرى لتقويض أوضاعها الهشة التي هي في طور التكوين كدول مستقلة ، فعليها العمل على تحديد مسارها وتوجهاتها بشكل واضح من خلال حكومات قوية وقويمة تسعى إلى تطوير تلك الجمهوريات وتحقيق تنميتها السياسية والاقتصادية، وتحديد الحقوق والواجبات والمسؤوليات لشعوبها أي لكل فئات وشرائح المجتمع وذلك من خلال سياسات وقوانين وتشريعات تصب في المصلحة الوطنية لتلك الجمهوريات .

أما على الصعيد الخارجي فعلى حكومات جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية أن تتبع سياسة واعية و رشيدة في تعاملاتها الإقليمية والدولية تدرك من خلالها مخاطر التحديات الخارجية التي تتعرض لها من خلال التنافس الذي قد يؤدي إلى توتر أو أكثر، وفي الوقت نفسه تعرف كيفية إقامة علاقات مع تلك القوى الإقليمية والدولية وبشكل لا تكون فيه تابع إلى تلك الدول والقوى أو منفذ لسياساتها ، بل تدخل في علاقات متكافئة إيجابية سواء كانت ثنائية أو جماعية من خلال الدخول في منظمات أو شراكات إقليمية أو دولية وبالشكل الذي يحقق أهدافها ومصالحها أي أن يكون لعضوية ومكانة هذه الجمهوريات دور واضح ومؤثر فيها .

بمعنى على جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية عدم إهدار تلك الأهمية الإستراتيجية لها بل استثمارها في الاتجاه الصحيح من خلال وضع إستراتيجيات أمنية تحافظ من خلالها على أمنها القومي وإستراتيجيات اقتصادية تتحكم من خلالها بمواردها الوفيرة التي تحقق لها الأمن الاقتصادي والغذائي ، واستراتيجيات اجتماعية أو مجتمعية تكفل من خلالها الوصول إلى الأمن المجتمعي وهذا يتطلب ضرورة تحقيق التوازن في العلاقات أي بين ما تحتاج إليه لتصحيح مسار أوضاعها الداخلية وتحقيق تنميتها وبناء علاقات دولية إيجابية والاندماج في بنية النظام الدولي ، وبين إدراك مصالح الدول الكبرى فيها وتحقيق أهداف تلك الدول على حسابها ، إذ إن الدول الكبرى تقدم نفسها كداعمة ومساندة لتلك الجمهوريات ولكن إلى جانب ذلك هي تحمل أهداف تصب في السعي للحصول على المنفذ الذي يدخلها إلى الجمهوريات وفرض شروطها وسياساتها على حتى عند تقديمها المساعدات ، فجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية نراها تبقي الباب مفتوحاً أمام القوى الكبرى بالشكل أو الحد الذي يحقق مصالحها لأنها في الوقت ذاته تريد إظهار مكانتها ووجودها في المجتمع الدولي ولا تريد أن تكون في عزلة وهي تمر بمرحلة إعادة التشكيل وترى نفسها بأنها تحتاج إلى القبول والإسناد والتفاعل الإيجابي.